
الأعمال الشعرية الكاملة
إبراهيم طوقان
المؤسسة العربية للدراسات والنشر

الأعمال الشعرية الكاملة

إبراهيم طوقان

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٨/١
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع: عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الثانية
١٩٩٣

الأعمال الشعرية الكاملة

إبراهيم طوقان

نظرة في شِعرِه

إحسَان عبّاس

مقدمة

فدوى طوقان



نظرة في شعر ابراهيم طوقان

بقلم : إحسان عباس

لا شك في أن ابراهيم طوقان أكبر شاعر أنجبته فلسطين حتى أواخر العقد الرابع من هذا القرن . وقد خضع ابراهيم في نظرته إلى الشعر وفي تصوره لطبيعته لمبدأين نقديين كان لهما أثرهما العميق في توجيه شعره نفسه . أما المبدأ الأول فقد عبّر عنه بقوله : « الشعر نكتة ، قد يحسن الشاعر قولها وقد لا يحسن ، وقد (يلقطها) القارىء أو السامع وقد تفوتهما ، وكما أن الانسان لا يجوز أن يحكم عليه بمخالطة في جلسة أو جلستين فكذلك لا يجوز أن يحكم على الشعر بقصيدة او قصيدتين »(١) . أما المبدأ الثاني فهو إيمانه أن الشعر « عبارات نثرية موزونة لا أثر لكد الخاطر عليها ، بل اتفق لها هي . . . أن تكون موزونة »(٢) .

وهذان المبدآن يصلان ابراهيم بالشعر الانجليزي وصلاً وثيقاً ؛ فأما المبدأ الأول « الشعر نكتة » فلست أجد فيه سوى تصوُّر محليٍّ لما

---

(١) نقلاً عن بعض مسودات ابراهيم ، وانظر : شاعران معاصران للدكتور عمر فروخ ، ص : ٨١ ، ط . بيروت ١٩٥٤ .

(٢) شاعران معاصران : ٧٨ .

توحي به لفظة «Wit» الانجليزية ، وهي لفظة يعز إيجاد معنى دقيق واحد للدلالة عليها ، وربما كان التعبير عنها بقوة اللمح مناسباً ، فهي قوة تمكن صاحبها من أن يلمح العلاقات الدقيقة بين أمور تبدو في ظاهرها متباعدة ، ثم يكون من نتيجة ذلك الربط غير المتوقع إثارة السرور والمفاجأة . وقد كان ابراهيم يركّز في هذه الناحية على الأثر ، معتمداً أن تكون إثارة السرور عن طريق المفاجأة المضحكة ، أي أنه حين استعمل كلمة « نكتة » في تصوره للشعر كان يشير إلى روح الفكاهة أو السخرية التي قد تنطلق من الطريقة في التعبير ، أو من البناء الكلّي للقصيدة . وقد حاول الدكتور فروخ أن يحدد النكتة في قول ابراهيم بأنها « وثبة الفكر وانطلاقة الخيال إلى القول البارع الجامع لا مجرد الدعابة أو محض التظرف والتندُّر » ، وهو في هذا على حق إذا اعتبرنا الأصل الفني في قوة اللمح ، ولكن أخشى أن يجد من يتصفّح شعر ابراهيم أن « النكتة » كانت تعني لديه أحياناً جميع المراحل الممكنة من إثارة المفاجآت البارعة ، حتى ولو تيسر ذلك باستخدام التعبير العامي المضحك ، ليكون مضحكاً ومفاجئاً في آن .

وأما المبدأ الثاني فإنه صورة ما كانت تنادي به الحركة الشعرية منذ ظهور الشاعر الارلندي وليم بطلر ييتس ، فقد قال هذا الشاعر في ثورته على الأسلوب الشعري الذي كان سائداً من قبل : « أردنا ان نتخلص لا من الخطابية البيانية وحسب بل من القاموس الشعري . حاولنا أن نخلع كلّ ما هو مصطنع وأن نؤثر اسلوباً يشبه الحديث العادي ، بسيطاً كأبسط أنواع النثر ، كأنه صرخة صاعدة من القلب » .

وإنما وصلت هذين المبدأين بالشعر الانجليزي ، لأن ابراهيم قرأ ـ ولا بد ـ نماذج كثيرة من ذلك الشعر ، وعرف مصطلح «Wit» على نحو ما ، وعاش في فترة كان ما يزال فيها أثر المدرسة الشعرية التي ترسمت دعوة بيتس قوياً واسع الذيوع ؛ وصلته بالأدب الأجنبي أمرٌ تشير اليه دلائل كثيرة ، ففي مسوّداته قصيدة مترجمة عن هايني ، كما أنَّ قصيدة « مصرع بلبل » ناظرة إلى قصة « البلبل والوردة » لأوسكار وايلد ؛ كذلك فإنه نشر في أحد أعداد جريدة (المعرض) مقالة حول قصيدة « رؤيا الدينونة » Vision of Judgement لبيرون التي يرد فيها على شاعر البلاط الانجليزي في عصره « روبرت سذي » . ولعلَّ هذا المثل الأخير يؤكِّد مفهوم ابراهيم للنكتة ، فإنَّ قصيدة بيرون ليست سوى « نكتة كبيرة » أدارها للتندر على شاعر البلاط المذكور .

غير أن هذا الربط بين تصوُّر ابراهيم للشعر وثقافته الغربية لا يعني أنه خرج بهذين المبدأين عن سياق النقد العربي ؛ فقول ابراهيم إن الشعر نكتة يؤكد أنه استمرارٌ ـ على نحو غير متعمّد ـ لمدرسة ابن دانيال والجزّار والسراج الورّاق ، وهم شعراء استغلوا قوة اللمح لديهم ، بتصوير المفارقة القائمة بينهم وبين مجتمعهم على نحو ضاحك ساخر ؛ وقد سلك ابراهيم في شعر المجون طريقهم بل ربما أربى عليهم ، ولكنه انفصل عنهم إلى حدّ كبير ، حين سخّر قوة اللمح لديه للكشف عن خلل الأوضاع السياسية والاجتماعية . فكانت « النكتة » رابطة بينه وبينهم ، إلا أنَّ تباين الغاية جعل الفرق بينه وبينهم كبيراً ؛ وهذا وحده يدلُّ على نقص في تعريف ابراهيم للشعر ؛ فإن « النكتة » ليست دائماً على مستوىً واحد من القدرة على

المفاجأة وإثارة السرور ، فقد تكون في خدمة الهجاء الفردي (كما هي في مبتدعات ابن الرومي) وقد تكون في خدمة الاصلاح الاجتماعي ، فأيّ هذين المستويين أقرب الى حقيقة الشعر ؟

وأما قول ابراهيم إن الشعر « عبارات نثرية موزونة لا أثر لكدّ الخاطر عليها » فإنما هو اعادة لأقدم النظريات النقدية عند العرب حول ما يسمّى شعر الطبع ، وفيه ترديد لذلك التقارب الذي آمن به نقاد العرب بين فني النظم والنثر ، وفيه التقاء تام مع قول أبي حيان التوحيدي : « خير الكلام ما قامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم »[٣] . وهذا المبدأ يكفل العفوية ـ أو صورتها الخارجية ـ في التعبير الشعري ، كما يكفل « الشعبية » التي تجعل الشعر قريباً من الجماهير ، وهي مطلب كان يحرص عليه ابراهيم بشدة ، وكان يتأتى له من جميع الطرق الممكنة مثل البساطة واستعمال التعبيرات الشائعة واختيار الموضوع الملائم واستغلال اللمح والنكتة وما إلى ذلك من وسائل . وقد استطاع ابراهيم من خلال الربط بين قانونه النثري ومبدأ النكتة ان يجعل جانباً كبيراً من شعره غذاء للشعب سواء في لحظات الراحة والمتعة او في لحظات الثورة والنضال . على أن القول بأن الشعر عبارات نثرية موزونة لا يفسّر ايضاً طبيعة الشعر تفسيراً شمولياً ، فقول ابراهيم :

أنتم العاملون من غير قول   بارك الله في الزنود القويه

(٣) الامتاع والمؤانسة ٢ : ١٤٥ .

عبارة نثرية قائمة على سخرية عميقة في مخاطبة الزعماء الفلسطينيين ، بل إن الشطر الثاني من البيت كان يتردّد على كل لسان في نطاق الحديث اليومي قبل أن ينقله ابراهيم إلى الشعر ؛ كما أن قوله :

يلذ لي يا عين أن تسهدي   وتشتري الصفو بطيب الكرى
ألم تري طير الصبا في يدي   أخشى على الغفلة أن ينفرا

عبارات نثرية كذلك ، ولكن شتان بين العبارة النثرية الأولى والمجموعة الثانية من العبارات في العمق ، وفي طبيعة التأثير ، وفي « الرضى » الفنّي ، وفي « طبيعة » اللحن الشعري . أليس يحتاج مثل هذا الحكم النقدي إلى ضوابط تميز فيه مستويات مختلفة ايضاً ؟

وقد امتد أثر هذين المبدأين النقديين الى أكثر ما يتصل بموقف ابراهيم من شعر الآخرين وإلى تطوُّر شعره : أما أثرهما في موقفه من شعر الآخرين فإنه جعله يتجاوب مع كل شعر يمكن أن يرتدَّ الى هذين المبدأين ، وإذا استثنينا إعجابه بالمتنبي وشوقي (وهو إعجاب يمثل تجاوز الذات إلى قيم خارج نطاقها) فإن أكثر من انجذب الى أشعارهم إنما يمثلون هذا التيار الثنائي ، وخير مَثَل على ذلك شاعره المفضل : العباس ابن الأحنف ، فإن اعجابه به لا يقف عند حدّ موضوع الغزل وانما هو في أساسه قائم على قوة اللمحات الذكية الدالة والمفارقات الذهنية المفاجئة في شعر ذلك الشاعر . ومن عجب أن ابراهيم لم يكتشف ابن الرومي ، ولو فعل لكان لاتجاهه الشعري شأن آخر . أما الذين كرههم من الشعراء فإنما وجد نفسه بعيداً عنهم

لأنهم هم أنفسهم كانوا بعيدين عن الانقياد لهذين المبدأين الكبيرين ؛ وحين ذكر شاعر البلاط الانجليزي ومدى برودة شعره ونشوفته تذكر أحمد زكي أبو شادي وقال : « وأمثال هذا الشاعر بلاء من الله لا بد لكل لغة أن تبتلى به وتستعين عليه بصبر أيوب عليه السلام ، ومنا لأخينا الدكتور أحمد زكي أبو شادي فائق الاحترام » . وهذا مختلف في طبيعته عن حملته على شعراء مصر ، إذ كانت هذه الحملة منه استنكاراً لسكوتهم عن قضية فلسطين والتحدث الى المشاعر العربية حولها .

وحين نرصد أثر ذينك المبدأين في تطوُّر شعر ابراهيم نقع على حقيقة خطيرة ، لا يكشف عنها أبداً المنهج الذي سلكه دارسو شعره في تقسيمه الى موضوعات ، فذلك منهج مختلّ لأنه يقف بمعزل عن تتبع شعره على نحو زمني متدرّج ، وتفيد الدراسة التطورية أنَّ شعر ابراهيم بلغ ثلاث ذرى متعاقبة : ذروة الحب ، وذروة الشهوة ، وذروة المشكلة الوطنية . لقد كانت هذه التيارات متجاورة في نفسه ، ولكن الحبَّ كان هو القوة العاتية منذ أن فجرته في صدره فتاة كفركنه (١٩٢٤ ـ ١٩٣٢) وقد كانت الموضوعات الأخرى تقتبس من لهبه إذا شاءت أن تعيش الى جواره . غير أن تطوُّر هذا الحبّ الى ان يقترن بالموت بعد التعرُّف الى مرغريتا الراقصة الاسبانية التي قال فيها ابراهيم ـ أو لخص في عهدها ـ أروع ما يمكن أن يبلغه اجتماع الحب والموت في نطاق ، في قصيدته « غادة اشبيلية » جعل ابراهيم يحسُّ أن الحب لم يتحوَّل الى « نكتة » ، وإنما تحوّل الى قوة مدمّرة ، وخاصة بعد ان صوَّر سيرته الذاتية تصويراً موجزاً في قصيدته « مصرع بلبل » ؛ وعندئذ انحاز ابراهيم الى ايمانه بقيمة الدعابة ، فانطلق في

شعر المجون انطلاقاً وفرته له طبيعة الخلطاء حينئذ ، فكانت القمة الثانية في التطور « معادلاً » مخففاً لرهبة الموت المقارن للحب ، وإن لم تكن الشهوة منفصلة عن الموت ؛ ولكن ابراهيم فصل بينهما عامداً لأنه لم يشأ أو لم يشأ له عقله الباطن أن يصل الى الباب المغلق في الذورة الثانية . يقول الدكتور عمر فروخ « وفي عام ١٩٣٣ وعام ١٩٣٤ نظم ابراهيم شيئاً كثيراً من المجون » . ثم يحلُّ عام ١٩٣٥ فيتجه شعر ابراهيم في ذروة جديدة ، هي ذروة القضية السياسية ، وفي ديوان ابراهيم قطع كثيرة نظمت في ذلك العام اذا قُرئت معاً كوَّنت قصيدة وطنية سياسية تهكمية لاذعة ، تتحدث عن مشكلة الزعامة والسياسة والأحزاب في فلسطين ؛ وقد كانت هذه الذروة الجديدة سهلةَ البلوغ لأنه منذ البداية اتخذ « النكتة » والسياق النثري متكأه في الوصول اليها ، ولهذا كان توفره عليها يشبه الدفق العفوي الذي لا يتطلب كدّاً أو جهداً .

وبعد سنة ١٩٣٥ لم ينظم ابراهيم إلا قصائد معدودات : هل كانت قدرته على الصعود الى الذرى قد استنزفت ؟ إن من يتتبع شعر ابراهيم ـ على نحو متدرج ـ يحسُّ أن شاعريته كانت تتهيأ لذروة رابعة مهّد لها في « الثلاثاء الحمراء » و« مصرع بلبل » وختمها على نحو مبتسر في « مرابع الخلود » ـ تلك كانت ذروة في الشكل والمضمون معاً : أما في الشكل فقد كانت تعتمد التوزيع الدرامي خارج نطاق الغنائية الذاتية ، وأما في المضمون فقد كانت تعميقاً لنظرة كونية في المقولات الكبرى من هذه الحياة . ولكن مشاغل الوظيفة وإلحاح المرض والاغتراب الاضطراري ، كل ذلك فلَّ من تلك الحدة قبل الأوان ، وأوقف ابراهيم دون ما كان يرشحه له قدره في نطاق الابداع

الشعري . ولكن هل كـان في مقدور هـذه الذروة أن تتحـول إلى « نكتة » أو سخرية ؟ أحسب أن عجز ابراهيم عن إخضاعها لذلك التحوُّل هو الذي أفضى به إلى ما يشبه الاجبال .

ومهما يكن من شيء ، فربما نسي الشعراء المحدثون أن ابراهيم رائد من روادهم ، لقد جرأهم بالتنويع في داخل القصيدة الكبيرة على تنويعات من نوع جديد ، ومن خلال البساطة المنفردة بوضوحها والتي شاءها مجالاً للشعر فتح لهم الباب إلى خلق دهاليز الغموض ، وعن طريق الالتزام بقضية وطنه أعطاهم درساً عميقاً في أن الارتباط بقضية الشعب لا بدّ أن يتم اولاً على مستوى التعبير « الدارج » المؤثر الموحي ، الذي يعي أن الشعـر مطهـر ضروري لتصفيـة المبتـذل والمألوف .

إحسان عباس

اخي ابراهيم(*)

بقلم : فدوى طوقان

لا أحب الي من ساعة آخذ فيها مجلسي من أُمي ، فتحدثني عن طفولة شقيقي ابراهيم رحمه الله ؛ ويا له شعوراً حزيناً ، يتسرب في شعاب قلبي ، حين تفتتح حديثها عن ابراهيم بهذه الديباجة التي تفعم نفسي بالرحمة لها ، والحسرة عليه : « لقد بلوت في ابراهيم الحلو والمر ، ولقيت فيه من الحزن وطارقات الهموم ، اضعاف ما لقيت فيه من السعادة والهناء . . » وتترقرق في عيني كل منا دمعة ؛ وتعتلج في صدر كل منا لوعة ؛ ثم تشرع هي ، في حديثها عن طفولة ابراهيم ، وقد اقبلت عليها بحواسي وقلبي وروحي جميعاً .

كان ابراهيم لعوباً الى حد بعيد ، لا يقتصد اذا اخذ بسبب من اسباب العبث واللعب ؛ وكأنما كانت نفسه تضيق بإهابه فلا يهدأ ، ولا يستقر . وهو في أحيان كثيرة على خلاف مع جدته لأمه ، رحمها الله ، اذ كان على وفاق مع طبيعته المرحة اللعوب . كان يعرف نزق جدته وضيقها بالضجة والحركة ، فلا يألو جهداً في معابثتها

(*) نشر هذا المقال في العدد السادس من (سلسلة الثقافة العامة) التي كانت تصدر اعدادها المكتبة في يافا .

واستفزازها ، وذلك لكي تزجره وتنتهره برطانتها التركية التي كانت تخالطها من هنا وهناك كلمات عربية ، لا تستقيم لها مخارج بعض حروفها فتأتي ملتوية عوجاء ، تبعث ابراهيم على الضحك ؛ ولقد تهمّ الجدة باللحاق به ، فيفر منها . . ويتسلق إحدى شجرات النارنج التي تمتلىء بها ساحة الدار ؛ وهناك يأخذ مكانه بين الفروع الغليظة الصلبة ، وينتهي الأمر بينهما عند هذا الحد . ثم يشرع ، وهو في مقعده ذاك من الشجرة ، يترنم بالأهازيج الشعبية التي كانت تروقه وتلذه كثيراً .

واني لأمثل في خاطري ، ذلك الشيخ الوقور ، جدي لأبي ، رحمه الله متربعاً في كرسيه ، مشتملاً بعباءته ، والى جانبه حفيده الصغير ابراهيم ، يتقارضان من الشعر والزجل (والعتابا) ما يعيه قلباهما .

وإنني لأمثل ابراهيم في خاطري كما يصورونه لي ، واقفاً أمام جده يرتجل ما ينقدح عنه فكره الصغير يومئذ ، من قول يرسله في وصف حادث حدث في البيت ، فيه نكتة ، او طرافة . . . وذلك في عبارات تكاد تكون موزونة مقفاة ، يقلد فيها ما كان يستظهره في المدرسة من شعر ؛ او ما يعيه قلبه من قصص « عنترة » و« أبي زيد الهلالي » و« سيف بن ذي يزن » ؛ تلك التي كثيراً ما أصغى الى أمه وهي تقرأها لجده لأبيه ، في أمسيات الصيف الجميلة ، او في ليالي الشتاء الطويلة .

كان ذلك التقليد من ابراهيم لاسلوب الأشعار التي يحفظها في المدرسة ، ولاسلوب القصص التي يسمعها تقرأ في البيت ، يملأ نفس

الجد غبطة ، ويفعمها بهجة ، فيأخذ حفيده اليه ، ويحتويه بين ذراعيه ، ويقول له بلهجة المعجب المتعجب : « . . . من أين تأتي بهذا الكلام يا ابراهيم ! » ، ثم يأخذ كيس نقوده من جيبه ، ويتناول منه قطعة ، يقبضها ابراهيم ، وينطلق بها مرحاً خفيفاً ، كأنه طيف من الأطياف .

على مثل تلك المفاوضات والمساجلات ، وعلى مثل هذه المحاولة الصبيانية لقول الشعر ، التي كانت تروق الجد ، بما فيها من تسلية لشيخوخته ، والتي كانت تستهوي الحفيد ، بما فيها من اشباع لفطرة شعرية كامنة فيه ، نشأ ابراهيم أول ما نشأ .

وفي هذه الأثناء ايضاً ، كان ابراهيم يبعث بالعجب والطرب معاً في نفس معلمه ، اذا وقف أمامه وقفته الخاصة كلما قام لينشد الشعر في درس الاستظهار ، سواء أكان ذلك الشعر عربياً أم تركياً ؛ فيلقيه إلقاء موسيقياً جميلاً ، ينبعث له طرب المعلم ، فيشرع ، وهو المعلم الوقور ، ينقر بأصابعه على المكتب نقرات إيقاعية ، تساير ذلك الالقاء الرائع الذي كان يزيد في روعته صوت خلاب آسر ، عرف له في مواقفه الخطابية فيما بعد .

كانت (المدرسة الرشادية الغربية) حيث تلقى ابراهيم دروسه الابتدائية تنهج في تعليم اللغة العربية نهجاً حديثاً لم يكن مألوفاً في مدارس نابلس في العهد التركي . وذلك بفضل بعض المدرسين النابلسيين الذين تخرجوا في الأزهر ، وتأثروا في مصر بالحركة الشعرية والأدبية التي كان يرفع لواءها شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر وأُدبائها . هؤلاء المدرسون ، أشاعوا في المدرسة روح الشعر والأدب

الحديثة ، وأسمعوا الطلاب للمرة الأولى في حياتهم الدراسية قصائد شوقي وحافظ ومطران وغيرهم ، وفتحوا اذهانهم على اسلوب انشائي حديث ، فيه رونق ، وفيه حياة ؛ يختلف اختلافاً كبيراً عن ذلك الاسلوب القديم الذي كان ينتهج في المدارس في نابلس ، والذي لم يكن ليخرج عن كونه أسلوباً تقليدياً عقيماً ، لا تأثير له ، ولا غناء فيه .

من هؤلاء المدرسين المجددين ، المرحوم الشيخ ابراهيم ابو الهدى الخماش ؛ وكان جريئاً صريحاً ، ذا نزعة عربية صميمة ، ومبادىء وطنية قومية ، يجهر بها ويبثها في النفوس عن طريق خطبه وتدريسه ومجالسه ؛ وذلك في عهد ، كان الجهر فيه بمثل تلك المبادىء ، يوفي بأهله على المهالك . وقد التحق فيما بعد بالثورة العربية ، تحت لواء المغفور له الملك فيصل .

ومن هؤلاء المدرسين ايضاً ، صاحب الفضيلة ، الشيخ فهمي افندي هاشم قاضي قضاة شرقي الاردن في وقت مضى .

أمضى ابراهيم اربع سنوات في هذه المدرسة ، هي سنوات الحرب العظمى ؛ وانتقل على اثر الاحتلال الانكليزي مباشرة ، الى مدرسة المطران في القدس ، وله من العمر أربعة عشر عاماً .

وهنا نعرض لشخصية تعرف بها ابراهيم في القدس ، فكان لها انطباع في نفسه في ذلك الحين ، تلك هي شخصية المرحوم الاستاذ نخلة زريق ؛ وكان هذا متأثراً باليازجيين ، واسع الاطلاع على الآداب الاسلامية العربية ، شديد التعصب للغة ، شديد الوطأة على كل عربي متفرنج يتهاون في لغته او عربيته ؛ وكان ذا شخصية

قومية ، لا بدَّ من ان تترك في اعماق من تعرَّف بها ، أثراً منها .

كـان المرحـوم نخلة زريق مدرسـاً للغة العـربيـة في (الكليـة الانكليزية) في القدس ؛ فتح عيون طلابه على كنوز الشعر العربي ، وحببها اليهم ؛ ولقد كان ابراهيم ، وهو في مدرسة (المطران) يأخذ من شقيقه أحمد ـ وكان طالباً في الكلية الانكليزية ـ منتخبات الشعر القديم والحديث ، مما يختاره المرحوم نخلة زريق لطلابه ، فيستظهرها جميعاً ؛ وعن طريق أحمد ، تعرَّف ابراهيم بذلك المدرس الأديب ، فكانا يزورانه معاً في بيته الذي كان محجة العلماء والأدباء في القدس ؛ ويصغي اليه وهو يتدفق في حديثـه عن الأدب والشعر ، والعـرب والعروبة . . مما كان له شأن في إيقاظ وعي ابراهيم على مؤثرات أدبية وقومية أخرى .

واذ أتم أحمد دراسته في الكلية الانكليزية ، وتوجه الى الجامعة الاميركية في بيروت ، ظلت تلك الاسباب موصولة بين ابراهيم وبين المـرحوم نخله زريق ، ولكن لمـدة قصـيرة ، اذ تـوفي الثـاني سنـة ١٩٢٠ .

في هذه الفترة من الزمن ، كان ابراهيم يحاول ان يقول الشعر الصحيح ، فتلتوي عليه مسالكه ، ولا يفلح فيه ، اذ لم يكن قـد درس علم العروض بعد .

وفي العطلة المدرسية ، يعود أحمد من بيروت ، ويلتقي الشقيقان في نـابلس وقد حمـل أحمـد لابـراهيم ، مـا حصله هنـاك من علم العروض ، ويشرح له تفاعيل الأبحر الشعرية ويوقفه على أصـول القوافي ؛ فيستوعب الشاعر المنتظر كل اولئك جميعاً ، وكأنما فتح له

فتح في دنيا الشعر التي كان يتشوق اليها ويعقد آماله ومطامحه عليها .

وعلى اثر ذلك ، يبدأ ابراهيم يقرزم الشعر قرزمة ، ويقوله في المناسبات التي تعرض له ، والأحوال التي تمر عليه في مدرسة المطران مما يوحي به الجو المدرسي ، بما فيه من جد وهزل .

وفي مجموعة اشعاره التي نظمها خلال عاميه الأخيرين في مدرسة المطران ، نحس بالشاعرية الكامنة التي كانت تأخذ عدتها ، لتستعلن بعد حين قصير في شعره القوي ، كما نلمس تلك الروح الوطنية المشتعلة التي اشربها منذ الصغر ، والتي أذابها فيما بعد ، في شعره الوطني .

وفي سنة ١٩٢٣ نشر ابراهيم لأول مرة إحدى قصائده ، ويقول ابراهيم بهذا الشأن :

« . . . لعلها اول قصيدة نشرت لي في صحيفة . رحم الله عمي الحاج حافظ ! . قرأها ، فأبدى اعجابه بها (على سبيل التشجيع) وطلب الي ان أُبيِّضها لينشرها في الجريدة ! في الجريدة ؟ شيء يطيش له العقل ؛ فأسرعت الى تلبية طلبه ، وعنيت بكتابتها قيراطاً ، وبوضع اسمي تحتها ثلاثة وعشرين قيراطاً . . . ثم أتيت بها اليه ، قال رحمه الله : « أتضع اسمك هكذا : ابراهيم طوقان ؟ لا يا بني ! يجب أن تضع اسم الوالد أيضاً ، ابراهيم عبد الفتاح طوقان ، اعترافاً بفضله عليك ، وبره بك . . . » أدب أدبني به عمي رحمه الله ، لا أعلم أني وقّعت اسمي بعد ذلك إلا تذكرت قوله وعملت به في كل أمر ذي بال أردت نشره » .

ولقد كان من أكبر الأسباب التي أعانته على ان يقول الشعر

فيجيده بالقياس الى صغر سنه ، كثرة حفظه للشعر المنتخب ، واحتفاله الكبير بالقرآن الكريم ، فقد كان كثير التلاوة له ، عميق النظر فيه . وأما ذلك الاحتفال منه بكتاب الله ، فإنه يرجع بدواعيه واسبابه الى بيئة في البيت ، يعنى أصحابها بتنشئة اطفالهم على تلاوته والتشبع بروحه . ولم ينفك ابراهيم منذ صغره يقرأ القرآن ، ويطيل التأمل فيه ، حتى أصبح له ذلك ديدناً ، لا يعوقه عنه عائق ، ولا يصرفه عنه تقلبه في مختلف معاهد العلم الأجنبية فيما بعد . ولم تكن تلاوته للقرآن الكريم تلاوة سطحية عابرة ، بل كان يتجه اليه بقلبه وروحه ، ويحس له في نفسه وقعاً عجيباً ، واثراً بعيداً ، فيهزه اعجازه هزاً ، وتفعل فيه بلاغته فعل السحر ، ويستولي عليه خشوع عميق ، يصرفه عن كل ما يحيط به .

انتهى ابراهيم من تحصيله في مدرسة المطران سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ وانتقل الى الجامعة الاميركية في بيروت . وهنا تبدأ أخصب مراحل حياته الدراسية ، او اكثرها الواناً .

فها هو في بيروت ، يظله أفق أدبي واسع لا عهد له بمثله في فلسطين . هنالك الأدباء والشعراء ، وهنالك الدنيا براقة خلوب . . . وهنالك بعد ذلك ، السهم الذي كان ينتظره ، منجذباً عن وتره الى آخر منزع ؛ يتربص به الفرص ، لينفذه في قلبه الذي لم يكن قد مسه الحب بعد . . .

في هذه الجامعة ، يعرفه شقيقه أحمد بأحد اصدقائه من الطلاب ، وهو (سعيد تقي الدين) ؛ وسعيد ، من اولئك الذين يتذوقون الشعر ، ويميزون بين صحيحه وزائفه تمييزاً صائباً ؛ فيلمح

في شعر ابراهيم بارقات وصوراً شعرية ، تلوح من هنا ، وتستتر من هناك . وتساند احمد وصديقه سعيد ، وبدآ يوجهان ابراهيم التوجيه الصحيح في عوالم الشعر ودنياواته الرحيبة الجميلة .

وفي عامه الدراسي الثاني في الجامعة ، وكانت شاعريته قد بدأت تزخر وتمتلىء ، لتنبثق عن معينها بعد ان اخذت عدتها من هذه الصناعة الدقيقة ، صناعة الشعر ، نظم ابراهيم قصيدته في المرضات ، أو (ملائكة الرحمة) فكانت اول قصيدة لفتت اليه الأنظار في لبنان .

ففي هذا العام (١٩٢٤) مرض ابراهيم ، واضطره ذلك الى العودة الى نابلس ، قبل انتهاء الفصل الدراسي الأول . وفي اثناء مرضه نظم تلك القصيدة ، ونشرها في جريدة (المعرض) التي كانت تصدر يومئذ في بيروت ، فإذا العيون تتطلع الى هذا الشاعر الناشىء ، الطالب في الجامعة ، واذا بالصحف تتناقلها . نقلتها مجلة (سركيس) عن (المعرض) وعلّقت عليها بقولها : « ولعله أول من نظم شعراً عربياً في هذا الموضوع » . وطُلبت القصيدة من قبل مجلة (التمدن) في الأرجنتين ، واهديت اليه المجلة سنة كاملة ، وكان مما علقته عليها قولها : « ولو كان كل ما ينظمه شعراؤنا في هذا الباب من هذا النوع ، لكان الشعر العربي في درجة عالية من القوة والفتوة » ونقلتها جرائد ومجلات أخرى ، وكلها تطري الشاعر ، وتشجعه .

أما هذه القصيدة ، فهي وان تكن قد قيلت في موضوع المرضات ، غير ان قسماً كبيراً منها ، كان في وصف الحمام ، تلك الطيور الوديعة ، التي كان يغرم بها ابراهيم ، ويعنى باقتنائها

وتربيتها ، أيام صباه . وتحدثني أُمي ، كيف كان وهو طفل ينجذب الى هذا الطائر انجذاباً خاصاً ، ويتأمله محوماً رائحاً غادياً ؛ وكيف كان ابراهيم اذا وقف كل صباح ليغتسل على حوض الماء الذي يقوم في صحن الدار ، أطال هناك الوقوف ، مستغرقاً في تأمله لأسراب الحمام ، وقد حفت بالماء تغتسل وتعبث بريشها ، فلا يزال على وقفته تلك ، الى ان ينبهه والده الى ابطائه على المدرسة .

وهكذا يمضي ابراهيم في طريق النظم ، وكانت نشوة توفيقه في قصيدة (ملائكة الرحمة) ، قد أفعمته بالزهو والخيلاء كما يقول ، الى ان تلقاه درساً أليماً ، أُوحي اليه يومئذ بقصيدة عنوانها « عارضي نوحي بسجع » وفيها تنعكس حالته النفسية الثائرة ، التي ترجع بأسبابها الى الدرس الأليم الذي تلقاه .

يقول ابراهيم بهذا الصدد : « كنت قد توفقت في قصيدة ملائكة الرحمة ، وسمعت كثيراً من كلمات الاعجاب بها ؛ فخيل الي ان كل قصائدي في المستقبل ، ستكون مثلها مدعاة للاعجاب !؟ وأخذت في نظم قصيدة غزلية ، وأنا مفعم بزهوي وخيلائي ؛ واخذت أغوص على المعاني ، واتفنن بالألفاظ !! . وكان يشرف على نشأتي الأدبية اثنان من الزبانية هما أخي أحمد ، وسعيد تقي الدين ، فهرعت اليهما لأسمع إعجابهما وانتشي به ، وتلوت عليهما القصيدة ، وظفرت بالاعجاب !. . وتركاني ، وعادا إلي بعد قليل. قال أحمد : « أخي أنا لا أفهم القصيدة جيداً حين تتلى علي ؛ اريد ان اقرأها بنفسي » . فناولته القصيدة ، ودنا رأس سعيد من رأس أحمد ، وشرعا في قراءة صامتة ، ثم كانت نظرات تبادلاها ، أحسست منها

بمؤامرة . . . وإذا بالقصيدة تمزق ، وإذا بها تنسف في الهواء . قال أحمد : هذه قصيدة سخيفة المعنى ، ركيكة المبنى ؛ قال سعيد : « ليس من الضروري ان تنظم كل يوم قصيدة ! قال أحمد : كلها تكلُّف وحذلقة ! . قال سعيد ليهون أثر الصدمة : لا بأس بها ، لكنها لا شيء بالنسبة الى قصيدة ملائكة الرحمة ، اعمل كل سنة قصيدة مثل ملائكة الرحمة وكفاك . . . قال أحمد . . . وقال سعيد . . . ولكن كان رأسي بين أقوالهما كأنه في دوار ، ولم أتمالك عن البكاء ، وتركتهما حانقاً ناقماً . وبعد ساعة كان سعيد فوق رأسي - وأنا لا أدري - يتلو أثر تلك الصدمة في قصيدتي : « عارضي نوحي بسجع » . فاختطفها ، وعاد اليّ بها في الصباح ، وعليها الجملة الآتية بقلم عمه الشيخ أمين تقي الدين : « روح شاعرة ، ليتها في غير معاني اليأس ، فالشباب واليأس لا يلتقيان ، أما النظم ، فيبشر بمستقبل فيه مجيد » .

« قسوة وعنف ، أفاداني أن أكون مع نفسي بعدئذ قاسياً عنيفاً ، أُمزق القصيدة حين أشعر بالتكلف يدب فيها ، وان أقف موقف الناقد الهدام ، أُحطم شعري بيدي ، او أبديه وأنا راض عنه ، ضامن رضى قارئه أو سامعه . أحمد وسعيد ليسا من الزبانية ؛ إنهما ملكان كريمان ! . جزاهما الله عني خيراً » .

ونعود الى ما بدأنا به من الحديث عن أيام ابراهيم في بيروت فنقول : مضت عليه سنوات ثلاث في الجامعة ، بلغ في نهايتها الثانية والعشرين ، وقد قعد به المرض خلالها عن اتمام دراسته في الصف الأول العلمي ، فانتقل الى نابلس ، ثم عاد في العام الذي تلا ذلك

الى الجامعة . وكـان في هذه السنـوات الثلاث لا ينقـطع عن قول الشعر . وفي سنة ١٩٢٥ نشرت لـه جريـدة (الشورى) في مصر نشيداً وطنياً لتحية المجاهد الأمير عبد الكريم الـريفي . فلما أطلع الشاعر الاستاذ خير الدين الزركلي على النشيـد قال : « ان صـدق ظني ، فإن صاحب هذا النشيد سيكون شاعر فلسطين » .

ومن عجب ، ان يظل قلب ابراهيم خالياً من المرأة حتى ذلك الحين ، ولقد كان اصدقاؤه في الجامعة يعجبون لذلك ويقولون له على سبيل المزاح : « أنت شاعر ولكن بلا شعور ، أين وحي المـرأة في شعرك ؟ » .

في نهاية تلك السنوات الثلاث ، بلغ ابراهيم الثانية والعشرين كما ذكرنا من قبل . وهنا مس الحب قلبه .. ولكن هل كان مس ذلك الحب رفيقاً رحيماً ؟ كلا ؛ بل كان مسـاً عنيفاً ملهبـاً اشعل روحه وأيقظ حسه ، وأرهف نفسه .

ففي سنة ١٩٢٦ ، طلعت في الجامعة في بيروت ، فتنة تمثلت في صـورة فتاة فلسـطينية طـالبة هنـاك ، فأحيت قلوبـاً وسحقت قلوبـاً . . . وتورط ابـراهيم ، ودخل المعـركة ، وابتـلى حسنـات وسيئـات ، أما السيئـات ، فليس هذا بمـوضـع تـدوينهـا ، وأمـا الحسنـات ، فتنحصر في الـطريق الأدبي الجـديـد الـذي نهجـه ، والاستعداد الكبير للسير في هذا الطريق .

صار قوي الملاحظة ، حاضر العاطفـة ، متوفـز الأعصاب ، صـار كثير المـطالعة ، صيـاداً للمعاني ، بسيط العبـارات ، سهل الفهم ، مصيباً .

تلك هي حسنات ذلك الحب ، على حد تعبيره .

ونظم في فتاته قصيدته (في المكتبة) ، ونشرت القصيدة في إحدى الصحف في بيروت ، فنطقت بألسنة الكثيرين من الطلاب والاساتذة ايضاً . .

ومنذ ذلك الحين ، أخذ ابراهيم يضرب على قيثارة الغزل ، فيطرب سماعه ، ويعجب قراءه . وقد أحبته فتاته بمقدار ما أحبها ، ثم ضرب الدهر بينهما ، فكانت نهاية حبه مأساة ، خلفت في قلب الشاعر جرحاً ، كان يندمل حيناً ، وتنكأه الذكرى حيناً آخر ، فينعكس ذلك كله في شعره ، كما تنعكس صورة على صفحة المرآة المصقولة .

نكتفي بهذا القدر من قصة ذلك الحب ، الذي كان له أكبر الأثر في ارهاف حسه ، والسمو بشاعريته الى سماء الشعر الصادق ، الذي ينبثق من ذات النفس ، وينبعث من اعماق الروح .

ونلتفت الآن الى بعض الأجواء الأخرى ، التي كانت تحيط بابراهيم في أعوامه التي قضاها طالباً في الجامعة .

لقد احتضنت ابراهيم في الجامعة وخارجها ، بيئة شعرية أدبية لم تكن لتحتضنه لو لم يكن في بيروت . أما في الجامعة ، فقد كان هناك رعيل من اقرانه الطلاب ، امتاز بصبغته الشعرية ، وتعاطيه لقول الشعر الجزل . من ذلك الرعيل كان عمر فروخ (صريع الغواني) وحافظ جميل (ابو النواس) ووجيه بارودي (ديك الجن) وابراهيم (العباس ابن الأحنف) . وكان تجاوب الذوق والمشرب

قد وصل بين هؤلاء بأسباب المحبة والأخوة . وكانت تجري بين حافظ ووجيه وابراهيم ، مساجلات شعرية عديدة ، تناقلها الطلاب وأحبوها ، غير ان هذه المساجلات لم تكن لتخرج عما توحي به طبيعة الشباب الملتهب ، المندفع وراء الحياة .

هذا في الجامعة ، وأما خارجها ، فقد كانت هنالك مجالس الأدب العالي والشعر الرفيع ، وكلها تفتح لابراهيم صدرها ، وتوليه من عنايتها واهتمامها ، وتعقد بينه وبين أصحابها صلة الود . وحسبي أن أذكر من أصحاب تلك المجالس الأدبية الرفيعة المرحوم الشيخ أمين تقي الدين والمرحوم الاستاذ جبر ضومط ، والشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) .

أصبح ابراهيم شاعر الجامعة ، كما لقبته صحف بيروت . ولم يقتصر في ذلك العهد على الشعر الغزلي فحسب ، بل كانت أغاريده الوطنية الفياضة بالعواطف الصادقة ، والايمان الوطني القوي ، تسير جنباً الى جنب مع أغاريده الغزلية . وهذان الوتران كانا من الأوتار التي امتاز ابراهيم بالضرب عليها .

وفي سنة ١٩٢٩ ، نال شهادته من الجامعة ، ليخوض بحر الحياة العملية المزبد المتلاطم .

معلم ، معلم ، معلم ، هذه هي الكلمة التي كان يسمعها تتردد على شفاه الكثيرين من الطلاب الخريجين ، يوم توزيع الشهادات ، فيقول لنفسه : « أَبَعد هذا العناء والكد ، يختار هؤلاء التعليم مهنة ؟ ، ألا ساء ما يفعلون ؛ ما أقصر مدى طموحهم » .

أما هو ، فقد كانت المفاوضات جارية بينه وبين إحـدى دور الصحافة في مصر ، وتوشك أن تنتهي على أحسن ما يتمناه . فهذه مهنة تلائم ذوقه على الأقل ، وتسير مع اختصاصه . سيكون محرراً في مجلة كبرى في القاهرة ؛ وناهيك بالقاهرة من مـدينة فن وأدب وجمال . وأي شيء تصبو اليه نفس الأديب الناشىء الطموح ، ولا يجده في القاهرة ؟ المكتبة الكبرى ، الأزهر ، الصحف ، الشعراء ، الكتّاب ؛ « يا مصر ، لله مصر ! » . صحافي ، صحافي . . .

هـذا ما كـان ابراهيم يحـدث به نفسـه في أيامـه الأخيرة في الجامعة .

من المنصة التي منح عليها (البكالوريا) ، مشى ابراهيم الى سرير المستشفى ؛ وأراني حتى الآن ، لم أُشر الى انه كان يشكو ألماً في معدته منذ أيام التلمذة في مدرسة المطران في القدس ؛ وكثيراً ما أقعده ذلك عن مواصلة التحصيل ، الى ان يشفى فيعـود اليها ؛ وكثيراً ما حمله بعد ذلك ، على الاستقالـة من وظائفـه التي تقلب فيها .

أبلّ ابراهيم من مرضه ، وكان والده الى جانبه في هذه الآونة ، اذ قدم بيروت ليشهد حفلة الجامعة . ثم توجـه الاثنان الى مصر ليستشيرا الأطباء هناك ، وليبحث ابراهيم في شغله الصحافي .

وفي مصر ينفذ البرنامج ، وتتجه صحة ابراهيم اتجاهاً حسناً ؛ وبعد بضعة اسابيع يعود الوالد بولده الى نابلس ، قرير العـين ، ناعم البال ، على ان يعود ابراهيم للشغل في مصر بعد أن يمضي مع ذويه أياماً قليلة .

غير أن الأم تأبى عليه ذلك ، وتحكم ان يظل ولدها قريباً منها ، وتدخل العاطفة في الموضوع . . . زد على ذلك ان أباه لم يكن راغباً في شغله في مصر .

وكانت هناك ظروف أخرى ، شاءت ان يلغي ابراهيم برنامجه الصحافي ويضرب بهذا الأمل المنشود عرض الحائط ، ولو لمدة سنة .

وفي هذه الآونة ، كانت وظيفة معلم اللغة العربية في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس شاغرة . فيأتي الى ابراهيم والده ، يقنعه بالموافقة على التدريس هناك ؛ فهذه خدمة وطنية مشكورة . أضف إلى ذلك ان المسؤولين في المدرسة ، سيجعلون ساعات العمل بحيث لا يرهقونه ، ثم ان هذا العمل في بلده ، وانه لون من ألوان الاختبار يقطع فيه ابراهيم جزءاً من أوقات الفراغ الطويلة المملة .

ويكون رد ابراهيم على ابيه بأنه لا يستطيع ان يتصور نفسه معلماً ، فهذا عمل لم يخلق له ، وسيكون فيه خائباً لا محالة . ولكن أباه يبين له انه سيعلم في موضوعه ، فلا يخرج عن نطاق ما خلق له .

واذا بابراهيم ذات صباح أمام فريق من الطلاب ، على مقاعدهم الخشبية ، واذا به يكتب على اللوح : « الطقس جميل » ، ثم يقول لأحد التلاميذ : ادخل (كان الناقصة) على هذه الجملة ، فيقول التلميذ : « كان الطقس جميلاً » .

نعم . . . كان الطقس جميلاً ، فتعكر ، وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن . . .

زاول ابراهيم مهنة التعليم في هذه المدرسة سنة واحدة ، وكان له تأثير في بعض طلابه من الصفوف العالية ؛ فحبب اليهم الشعر والأدب . ولا أزال اذكر ذلك اليوم الذي أقبل فيه يحدثنا مبتهجاً ، بأن بعض تلاميذه النجب ، قد بدأوا ينظمون الشعر على يده .

خلال هذا العام الدراسي (١٩٢٩ - ١٩٣٠) كان ابراهيم ينظم الشعر الوطني ، فيرسله صرخات حافزة ، ونـاراً مشتعلة . ومن أشهر قصائده ذلك الحين (الثلاثاء الحمراء) .

ففي حزيران سنة ١٩٣٠ صدر حكم الاعـدام على شهـداء فلسطين الثلاثة ، وذلك على أثر ثورة سنة ١٩٢٩ . وقد ضج أهل البلاد لهذا الحكم ، وقدموا احتجاجاتهم ورجاءهم ، فلم يغن ذلك عنهم شيئاً .

وفي نهار الثلاثاء ، السابع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠ ، كان التكبير على المآذن ، وقرع النواقيس في الكنائس ، يتجاوب صداهما في ارجاء فلسطين قاطبة ؛ اذ في ذلك النهار ، نفذ حكم الاعدام بالشهداء الثلاثة ، في ثلاث ساعـات متواليـة . فكان اولهم فؤاد حجازي ، وثانيهم محمد جمجوم ، وثالثهم عطا الزير . وكان من المقـرر رسمياً ان يكـون الشهيد (عـطا الزيـر) ثـانيهم ، ولكن (جمجوماً) حطم قيده ، وزاحم رفيقه على الدور الثاني حتى فـاز ببغيته . .

وهنا يأخذ الشاعر ريشته ليصور هذا اليوم المخضب بالدماء أروع تصوير ، وليسجل في سفر الشعر الوطني الخالد ، مصـارع اولئك الشهداء . فتكون قصيدة (الثلاثاء الحمراء) .

وكان يوم حفلة مدرسة النجاح السنوية في نابلس ، ولم يكن قد مضى على تنفيذ حكم الاعدام بهؤلاء الشهداء اكثر من عشرة ايام ، فالنفوس لا تزال ثائرة ، والعواطف لا تزال مضطربة ؛ وفي تلك الحفلة ، القى ابراهيم قصيدته (الثلاثاء الحمراء) . . وذهل عن الجمهور ؛ وشعر كأنما خرج من لحمه ودمه ، فكان يلقي بروحه وأعصابه ، فما انتهى حتى كان بكاء الناس يعلو نشيجه ، ثم تدفقوا خارج القاعة في حالة هياج عظيم حتى لقد قال بعضهم يومئذ : « لو ان ابراهيم ألقى قصيدته في بلد فيه يهود ، لوقع ما لا تحمد عقباه » . يشير بذلك الى فرط الحماس الذي أثارته هذه القصيدة في اولئك السامعين .

لم تكد تبدأ عطلة العام الدراسي الأخيرة لسنة ١٩٣٠ حتى كانت الجامعة الاميركية في بيروت ، قد عرضت على ابراهيم ، بواسطة الاستاذ انيس الخوري المقدسي ، التعليم في قسم الأدب العربي في الجامعة .

كان مجرد فكرة العودة الى بيروت ، وآفاقها الرحيبة السحرية ، كفيلاً بأن يجعل ابراهيم يوافق على مزاولة التعليم مرة أخرى ، وعن طيب خاطر . . فلقد كان حبه لهذا البلد ، ولأهله الكرام ، حباً متمكناً من نفسه ، الى حد بعيد ، بل لقد كانت بيروت بمنزلة الوطن الثاني له ، يرى في أهلها أهله ، وفي عشيرتها عشيرته ، وكيف لا يكون لهذا البلد في نفس ابراهيم مثل هذا المكان الرفيع ، وفيه تفتحت زهرة شبابه اول ما تفتحت :

أول عندي بفنون الهوى　　بيروت ؛ أنعم بالهوى الأول . .

وانتقل الى الجامعة الأميركية ، فدرّس فيها عامين ، نظم خلالهما اروع قصائده التصـويريـة ، مما يـدخل في بـاب الموضـوعيات من شعره . ولابراهيم في هذا الباب قصائد فذة ، تفيض بالصور الحية الناطقة .

ولقد عادت المرأة ، أو بالأحرى ، عاد الجمال يحرِّك قلب ابراهيم في بيروت ، فيوحي اليه بأرق الشعر وأجزله . ومسارح الجـمال في بيروت مختلفة الألـوان ، متعددة الصـور ، وهي هناك تكـاد تكون مكشـوفة النقـاب لا تختبىء وراء حجاب . وابـراهيم نشـأ في بلد متمسك بتقاليده وعاداته أشد التمسك ، فهو يسدل دون المرأة ستاراً كثيفاً نسجه . ومن هنا ، كانت بيروت مهبط وحيه في ما قاله من شعر في المرأة .

وفي غادة اشبيلية ، اندلسية كانت في بيروت ، نظم ابراهيم فيما نظم من شعر غزلي في ذلك الحين ، عدة قصائد ، وهو يعرف بأن انجذابه الى هذه الغادة ، قد لا يكون بدافع جمالها ، وخفة روحها ، بمقدار ما كان يتقرّاه في خلقتها من الدم العربي ، وما كان يلاحظه من الفن العربي في ثيابها ورقصاتها .

وأثناء إقامته في بيروت قدم الجامعة الاميركية الدكتور (لويس نيكل البوهيمي) ، وهو مستشرق تخصص في الغزل العربي ، فكان يتنقل بين عواصم الشرق والغرب ، باحثاً في مكاتبها الكبرى عن الكتب المتعلقة بموضوعه ، وكان من نتيجة ذلك ان ترجم الى اللغة الانكليزية كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم الاندلسي . وقد تعرف ابراهيم بالدكتور نيكل عن طريق صديقه الاستاذ أنيس فريحة ، وكان

هذا المستشرق ، حين تعرَّف بابـراهيم ، قد بـدأ بتصحيح كتـاب (الزهرة) لابن داود الاصفهاني ، وتعليق حواشيه وتنظيم فهارسه . فلما رأى مدى اطلاع ابراهيم على الشعر القديم دعاه الى العمل معه واشراكه في تصحيح الكتاب وطبعه ؛ وباشرا العمل معـاً في اليوم الثاني للمقابلة الأولى . وفي بضعة شهور انجزا عملهما فيه حيث طبع الكتاب سنة ١٩٣٢ . ويقول الدكتور نيكل بهذا الشأن في رسـالة خاصة تلقيتها منه : « . . . ثم أقمنا حفلة (الزهروية) في مـطعم نجار ، ونظم ابراهيم قصيدته (غادة اشبيلية) ، وكانت تلك الأيام من أسعد أيامه وأيامي . . . » .

وفي نهاية العام الثاني لتدريسه في الجامعة ، قدّم ابراهيم استقالته من العمل ، وعاد الى فلسطين ، حيث زاول مهنة التعليم في المدرسة الرشيدية في القدس . وفي هذا الحين ، ضاق بعمله أشد الضيق ، فنفّس عن الكرب الذي لحقه من هذه المهنـة بقصيدتـه (الشاعـر المعلم) وقد صاغها في قالب فكاهي عذب ، صوَّر فيه ما كان يكابده من مشقة التعليم ، والجهد الذي كان يبذله ، والعنـاء الذي كـان يلاقيه من جراء ذلك كله .

وفي أواخر سنة ١٩٣٢ ، وقبل انتهاء الفصل الدراسي الأول ، ألحَّ عليه السقم ، ولازمته العلة ، فانقـطع عن التدريس ، وظـل طـريح الفـراش ، الى ان اشتدت وطـأة المرض ، فـأشار الأطبـاء بضرورة نقله الى المستشفى ، وإجراء عملية جـراحية في معـدته . ولقد كان من خطورة شأن هذه العملية ، ان نفض الجرّاح يديه من نجاة مريضه من الموت بعدها ، لما كان عليه ابراهيم من النحـول

والضعف . ولكن (الله في السماء ، والأمل في الأرض) ! فقد اجريت العملية بالرغم من الشك الكبير في نجاته من خطرها . وتشاء حكمة الله ، ان ينجو ابراهيم من الموت المحقق ؛ ولقد أقر الطبيب يومئذ ، بأن سلامة مريضه كانت من معجزات الله ، لا شأن لفن الطب فيها ، ولا لحذق الطبيب ، اذ كانت حال ابراهيم فوق هذين كليهما .

وتماثل للشفاء ، وحانت الساعة التي سيغادر فيها المستشفى ، فشيع الطبيب هذا (المولود الجديد) ، كما كان يسميه ، مهنئاً والديه به . وخرج ابراهيم وفي جيبه ورقة عليها هذه الأبيات :

اليك توجهت يا خالقي   بشكر على نعمة العافيه
اذا هي ولت فمن قادر   سواك على ردها ثانيه
وما للطبيب يد بالشفاء   ولكنها يدك الشافيه
تباركت ، أنت معيد الحياة   متى شئت في الأعظم الباليه
وأنت المفرج كرب الضعيف   وأنت المجير من العاديه

بلى لقد كان ابراهيم يؤمن بالله ايماناً عميقاً صادقاً ؛ وقد ابتلاه ربه بالحرمان من نعمة العافية ، وهو في ريعان الشباب ، فما وجده إلا صابراً متفائلاً . وانك لتتصفح ما خلفه من مآثره الأدبية ، فتراه قد عرض فيها مراراً عديدة لذكر مرضه وسقمه ، ولكنه عرض مرح مبتسم ، لا روح للتشاؤم فيه ولا أثر لشكوى الزمان ، اذ كان المرح والابتسام خلقة في ابراهيم ، فلم يكن لينظر الى الدنيا إلا من وجهها الضاحك المشرق ؛ وانظر الى هذه الأبيات لترى كيف كان يواجه تنكر العافية :

وطبيب رأى صحيفــة وجـهي شـاحباً لـونها ، وعودي نحيفـا
قـال : لا بـد من دم لـك نعـطيـه نقيـاً ، مـلء العـروق عنيفــا
لـك ما شئت يـا طبيب ولكن أعطني من دم يكون خفيفا . .

ضعف في البنيـة شديـد ، قد يبعث في غـير ابراهيم التشـاؤم والضجر ، ولكنه هو ، القوي بروحه ، المرح بطبيعته لا يدع النكتة تفلت منـه وهو في أشـد حالات المـرض : « أعطني من دم يكـون خفيفاً » . .

غادر ابراهيم المستشفى موفور الصحة ، وعاد الى بلده بعد ان قدم استقالته الى المدرسة الرشيدية في القدس ، وقد عزم عزماً أكيداً على عدم العودة الى هذه المهنة ، مهنة التعليم ، مرة أخرى .

أمضى بعد ذلك عامين في نابلس ، خدم خلالهما مدة في دائرة البلدية ، وفي هذين العامين ، نظم ابراهيم مقطوعاته الوطنية التي كان يوالي نشرها في جريدة (الدفاع) والتي كان يقبل عليها القراء بشغف عظيم ، لما فيها من تصوير صادق لوضع فلسطين الخطير ، وتفكك الأمة المريع ، في تلك الفترة من الزمن .

وفي سنة ١٩٣٦ تسلّم ابراهيم عمله الجديد في القسم العربي في اذاعة القدس . وقبل الحديث عن اعماله هناك ، أوثر أن أقف عند شعره وقفة قصيرة .

اذا قرأت شعر ابراهيم ، تجلت لك نفسه على حقيقتهـا ، لا يحجبها عنك حجاب ؛ ذلك انه كان ينظر نظراً دقيقاً في جوانب تلك النفس ، ثم يصوِّر ما يعتلج فيها من عواطف وخلجات ، كأصدق ما

يكون التصوير ؛ ومما كان يعينه على البراعة والصدق في التعبير ، علم غزير بفنون الكلام وأساليبه ؛ وهذا العلم كان نتيجة لاطلاعه الواسع على المآثر الأدبية الرفيعة ، من قديمة وحديثة ، الى جانب القرآن الكريم ، والحديث الشريف .

وما أعرف كتاباً أدبياً كان أحب اليه من كتاب (الأغاني) ، فقد كان يرى فيه دنيا تغمرها الحياة على اختلاف ألوانها ؛ وناهيك (بالأغاني) من كتاب أدبي توفرت فيه المادة ، وتنوع الأسلوب ، واتسع فيه مجال القول في الأخبار والنوادر الأدبية على اختلافها .

وكما كان كتاب (الأغاني) من أحب كتب الأدب العربي الى ابراهيم فقد كان (المتنبي) من ناحية ، و(العباس بن الأحنف) من ناحية أخرى من أحب الشعراء إليه وأقربهما من قلبه ، وكان الدكتور نيكل قد ساعده في الحصول على نسختين تصويريتين لديوان (العباس) من استنبول اذ كان في نية ابراهيم ـ لو أمهله الزمن ـ ان يخرج هذا الديوان في طبعة جيدة أنيقة .

وأما « شوقي » في الشعراء المعاصرين فهو سيد المكان في قلب ابراهيم .

يمكنك ان تقسم شعر ابراهيم الى ثلاثة أقسام : الغزليات ، والوطنيات ، والموضوعيات ؛ وهذه الأخيرة تمتاز بعمق الفكرة ، ودقة التصوير ، وقد حلّق فيها الى آفاق الشعر العالي ؛ هنالك « الشهيد » و« الفدائي » و« الحبشي الذبيح » وغيرها . ولعل واسطة العقد في موضوعياته ، قصيدة « مصرع بلبل » وهي فتح جديد في القصة الشعرية ، نلمس فيها تأثر ابراهيم بالأدب الغربي دون ان يفقد

مميزات خياله الخاص ، وتعبيراته الشعرية الخاصة .

وفي قصيدة « الشهيد » ، ينقلنا ابراهيم بدقة وصفه ، وروعة تصويره الى ما يثور في نفس الشهيد من عواطف ، واستقتال في سبيل الواجب الأسمى ، لا يبتغي من وراء ذلك ذيوع اسم ولا اكتساب صيت ، وانما هو عنصر الفداء ، وجوهر الكرم ، صيغت منهما نفس الشهيد ، فهان عندها الموت في سبيل الله والوطن .

ومن موضوعـاته الرائعة قصيدة « الحبشي الذبيح » وهي صورة حية ناطقة ، يرسم فيها ابراهيم حالة ذلك « الديك الحبشي » الأليمة حين يذبح ويأخذ يصفق بجناحيه ، ويجري من هنا وهناك ، مزوّر الخطى ، كأنما هو يلحق بالحياة التي استلبت منه . ولقد أوحى اليه بهذا الموضوع العنيف ، وقوفه يومـاً برجـل على جـانب الطريق في بيروت يذبح ديوكاً حبشية يعدها لرأس السنة . واذا بالنفس الشاعرة يروعها ان لا يقوم السرور إلا على حسـاب الألم ، واذا بها تفيض بأقوى الشعر التصويري الحي .

ونلتفت الآن الى ابـراهيم شاعـر الوطن ، الـذي سجل آلام فلسطين وآمالها خلال الانتداب الانكليزي ، كما لم يسجله شاعـر فلسطيني من قبل .

انظر اليه وقـد خلد ثورة فلسـطين وشهداءهـا سنة ١٩٢٩ في قصيدة « الثلاثاء الحمراء » ، ثم يوم عاد في الذكرى الرابعة لهؤلاء الشهداء فخلدهم مرة اخرى في قصيدة «الشهيد» كل ذلك في شعر لاهب حماسي ، فلا بكاء ولا استخذاء ، وانما هي صرخات مدوية مجلجلة ، تحفز الهمم ، وتثير الشعور بالعزة والاباء .

وأما بيع الأرض ، فلم يزل ابراهيم يصور لقومه الخطر الذي ينتظر البلاد من وراء البيع ، ولم يزل يفتح عيونهم على الشر الذي عم واستحكم من جراء ذلك :

اعداؤنا منذ ان كانوا صيارفة   ونحن منذ هبطنا الأرض زرّاع
يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة   ولا تعلمت ان الخصم خداع . .
لقد جنيت على الأحفاد والهفي !.   وهم عبيد . . وخدام . . واتباع .
وغرك الذهب اللماع تحرزه . .   ان السراب كما تدريه لماع
فكر بموتك في أرض نشأت بها   واترك لقبرك ارضاً طولها باع

وقد التفت ابراهيم مرات عديدة في شعره ، الى هذه الناحية . وحين نشرت الصحف ان زعيم الهند (غاندي) قد انذر انكلترا بالصيام مدى الحياة ، ما لم تغير خطتها السياسية في الهند ، راح ابراهيم يغمز ويقارن زعيم هنا . . وزعيم هناك :

حبذا لو يصوم منا زعيم   مثل (غندي) عسى يفيد صيامه
لا يصم عن طعامه . . . في فلسطين يموت الزعيم لولا طعامه . .
ليصم عن مبيعه الأرض يحفظ   بقعة تستريح فيها عظامه !.

وهو في رثائه للمغفور له الملك فيصل ، يضرب على هذا الوتر نفسه ، مشيراً ، الى استقبال الجثمان الطاهر في فلسطين :

ما الذي أعددت من طيب القرى   يا فلسطين لضيف معجل
لا أرى أرضاً نلاقيه بها . .   قد اضاع الأرض بيع السفل
فاستري وجهك لا يلمح على   صفحتيه الخزي فوق الخجل .

ولم يكن ليدع مناسبة تمر ، دون ان يشير الى هذا الداء العضال ، الذي بليت به فلسطين . ولشد ما صب نقمته على تلك العصبة الحقيرة ، عصبة السماسرة ، التي يقوم على يديها ضياع البلاد :

أما سماسرة البلاد فعصبة عار على أهل البلاد بقاؤها
إبليس أعلن صاغراً إفلاسه لما تحقق عنده اغراؤها
يتنعمون مكرمين . . . كأنما لنعيمهم عم البلاد شقاؤها
هم أهل نجدتها . . وان انكرتهم وهم ـ وأنفك راغم ـ زعماؤها . .

ولكم كانت تروعه تلك الحزبية التي يضطرم وقودها في البلاد ، فلا ينتج منها إلا تفكك الأمة وشقاقها ، وفي ذلك ما فيه من إعاقة السير نحو الهدف الواحد :

وطني ، أخاف عليك قوماً اصبحوا يتساءلون : من الزعيم الأليق
لا تفتحوا باب الشقاق فإنه باب على سود الحوادث مغلق
والله لا يرجى الخلاص وأمركم فوضى ، وشمل العاملين ممزق

ولطالما نقد أصحاب الأحزاب في شعره وندد بهم ، لا يخص فريقاً دون فريق ، وانما يوجه القول اليهم جميعاً .

مالكم بعضكم يمزق بعضاً أفرغتم من العدو اللدود ؟
اذهبوا في البلاد طولاً وعرضاً وانظروا ما لخصمكم من جهود . .
والمسوا باليدين صرحاً منيعاً . . شاد أركانه بعزم وطيد !
كل هذا استفاد ما بين فوضى وشقاق ؛ وذلة ؛ وهجود . .

واشتغال بالترهات ، وحب الذات . . . عن نافع عميم مجيد
شهد الله ان تلك حياة   فضلت فوقها حياة العبيد

وما كان انكأ لقلب ابراهيم من خمود العزائم في حاملي عبء القضية الوطنية ووقوفهم عند تقديم (البيانات) و(الاحتجاجات) ، لا يتعدونها الى غيرها من الأعمال المجدية ، انظر اليه يخاطبهم متهكماً :

انتم (المخلصون) للوطنيه . .   انتم الحاملون عبء القضيه . .
انتم العاملون من غير قول . .   بارك الله في الزنود القويه . .
و(بيان) منكم يعادل جيشاً   بمعدات زحفه الحربيه . .
و(اجتماع) منكم يرد علينا   غابر المجد من فتوح أميه . .
ما جحدنا (أفضالكم) . . غير أنا   لم تزل في نفوسنا أمنيه
في يدينا بقية من بلاد . .   فاستريحوا كي لا تطير البقيه . .

وبذلاقة ورشاقة ، كان ابراهيم يتغلغل بقلمه الى صميم الأشياء فيزيح عنها الستر ويبين ما خفي وراءه من حقائق مرة ؛ ويا لها من مرارة يرسلها في شعره متألماً (لمظاهر العبث) التي كان يراها تغلب على ميول الأمة :

أمامك أيها العربي يوم   تشيب لهوله سود النواصي
وأنت كما عهدتك لا تبالي   بغير مظاهر العبث الرخاص
مصيرك بات يلمسه الأداني   وسار حديثه بين الأقاصي
فلا رحب القصور غداً بباق   لساكنها ، ولا ضيق الخصاص

لنا خصمان ، ذو حول وطول   وآخر ذو احتيال واقتناص . .
تواصوا بينهم . . فأتى وبالاً   وإذلالاً لنا ذاك التواصي
مناهج للابادة . . واضحات   وبالحسنى تنفذ ، والرصاص . .

وأما وعد بلفور ؛ وأما هجرة اليهود الى هذا الوطن المنكود ، فلم يبرحا مجالاً للقول ذا سعة في شعر ابراهيم ، وهدفاً يرمي اليه ، ويحوم حواليه .

وهكذا ، ترى شعره الوطني شعراً يحمل طابعاً فلسطينياً خاصاً ، كان حتماً ان تطبعه به أحوال البلاد المضطربة في هذا العهد المظلم من عهود فلسطين . وما كان ابراهيم ليفوز بلقب شاعر الوطن ، وشاعر فلسطين ، لو لم يسجل قضية بلاده في شعره القوي ، الذي يمتاز بذلك الطابع الفلسطيني الخاص . . ولو لم تنعكس في ذلك الشعر اصدق صورة لهذا الوطن في هذا العهد . .

تأسست اذاعة القدس سنة ١٩٣٦ ، ووقع الاختيار على ابراهيم ليكون مراقباً للقسم العربي فيها ؛ فاحتضن هذا القسم ، ولفه تحت جناحيه ، وتعهده بعنايته مدة أربع سنوات .

وفي سنة ١٩٣٧ تعرَّف ابراهيم (بسامية عبد الهادي) من احدى أُسر نابلس ، فاتجه اليها قلبه ، وهناك استقر ؛ فأصبحت شريكة حياته . وعاش هانئاً في بيته ، سعيداً بعاطفة جديدة مقدسة هي عاطفة الأبوة ، اذ ولد له « جعفر » ثم ولدت « عريب » .

أقبل ابراهيم على عمله في الاذاعة بكل قلبه ، اذ كان مثل هذا العمل يوافق ذوقه ويمشي مع ميوله ؛ ولم تمض مدة يسيرة على اشرافه

على البرامج العربية ، حتى كانت تلك البرامج مرآة ينعكس عليها ذوق هذه البلاد ، وآراء أهلها العرب ؛ وكان اكبر همه ان تكون الأحاديث قريبة من مستوى العقول على اختلاف طبقاتها ؛ لاسيما الأحاديث الأخلاقية ، فكان يصل الى هذا الغرض التهذيبي بطريقة لا يشك في نجاحها ، وهي طرق هذه الموضوعات من نواح ثلاث : الآية القرآنية ، الحديث الشريف ، المثل المشهور . ولكل من هذه النواحي أثرها البعيد في العقليات المختلفة لأهل المدن والقرى على السواء ، لما لها من علاقة ماسة بالحياة الاجتماعية .

ولقد كان لابراهيم في الاذاعة أحاديث أدبية كثيرة ، أضف الى ذلك قصصاً وروايات تمثيلية ، كان يصنعها بنفسه ، وأناشيد ، منها ما كان ينظمه لبعض البرامج الخاصة ، كنشيد « أشواق الحجاز » والنشيد الذي وضعه في رثاء المغفور له الملك غازي ؛ ومنها ما كان ينظمه لأحاديث الأطفال .

لم تكن الوظيفة لتقعد بابراهيم عن تقديم رسالته الى هذا الوطن الذي تفانى في حبه ، وجمع له همَّ قلبه ؛ ولئن كانت قد اعترضت لهاة بلبل الوطن الغريد ، وحالت دون تسلسل أغانيه الوطنية الشجية ، التي طالما أيقظت القلوب النائمة ، وألهبت النفوس الهامدة ، فلم تكن لتستطيع أن تحول دون حبه لهذا الوطن ، وبذله اقصى مجهوده لخدمة أمته عن طريق الاذاعة . . .

ولعل من أهم ما قام به هناك ، تصديه لفئة غير عربية . . كانت تسعى سعيها لتنشيط اللغة العامية ، وجعلها اللغة الغالبة على الأحاديث العربية المذاعة . . وكانت حجتها في ذلك ، ان الاذاعة لا

يمكنها ان تحقق الغرض الذي هدفت اليه ، وهو نفع الطبقة المتوسطة ، اذا جرت على استعمال اللغة الفصحى . . لأن هذه الطبقة من أهل المدن والفلاحين ، لا تحسن اللغة الفصحى ، على حد تعبير أصحاب القول بتنشيط اللغة العامية ، ولا تفهم اللغة العربية (القديمة) التي جرى عليها المذياع ! . . .

وقف ابراهيم وقفة حازمة أمام هذا الرأي ؛ ونقضه يومئذ بحجج دامغة ، اظهرهم فيها على ان المذياع لم يجر على اللغة العربية القديمة ، وانه ليس في بلاد العرب من يعرف هذه اللغة بالمعنى الذي قصده أصحاب القول باللغة العامية ، غير أفراد متخصصين . وهي عندنا لغة الجاهلية التي قضى عليها القرآن باسلوبه الجديد المبتدع . وان عندنا اليوم لغة عربية صحيحة ، يصطنعها المؤلفون ومحررو الجرائد ، ويفهمها المتعلم والأمي على السواء . . وان الفلاحين ، وجلّهم من الأميين ، لتقرأ عليهم الجريدة ، فيناقشون القارىء في افتتاحيتها . ولا يعقل ان يناقش المرء في شيء لم يفهمه . هذا وان العرب ، مسلمين ومسيحيين ، يدينون بالقومية ؛ وهذا مشروع غايته القضاء على اللغة العربية ، وهي عندنا كل ما بقي من ذلك التراث الطويل العريض الذي اجتمع لنا من الفتوحات والحضارات والعلوم والآداب والفنون . . فما من عاقل اليوم ، يعرف قدر نفسه ويعتز بعربيته ، يرضى عن العبث بهذا التراث الباقي ، والقضاء عليه بيده . . .

بهذه الصراحة التي عرفت لابراهيم في كل موقف ذي خطر ، هزمت تلك الفئة التي اعترفت على اثر ذلك ، بأن ابراهيم يحتاج الى

جلسات أخرى ، لتزعزع أركان عقيدته في لغته . . . واستغفر الله ، وحاشا لابراهيم . . .

ولشد ما لقي من صعوبات أثناء عمله ، اذ كانت فلسطين خلال السنوات الأربع التي خدم فيها في الاذاعة ، في ظرف دقيق جداً ، ففي السنوات الثلاث الأولى ، كانت الثورة في فلسطين قائمة على ساقها ، وفي السنة الرابعة ، كانت الحرب العالمية الأخيرة .

أما الصعوبات التي لقيها في عمله أثناء الثورة ، فتنحصر في ذلك الشغب الذي كان يدور حوله من قبل بعض الجهات اليهودية ، ووقوفها له بالمرصاد في كل ما يذيعه من أحاديث ، أو ما يذيعه غيره من المحدثين العرب ؛ فكانت تلك الجهات اليهودية تخرج كل ما يقال تخريجاً سياسياً ، وتشكل من القصة ذات اللغة البسيطة ، والوضع المحكم ، شعوباً ودولاً ، وحكومات وانتدابات . . . ولم تكن لترى في الأحاديث الأخلاقية ، إلا تحريضاً تحت قناع ديني . . وأما الدعاية فقد كانت في رأيها مبثوثة في الموضوعات التاريخية ! . زد على ذلك ، قول تلك الجهات اليهودية بأن الأحاديث النبوية ، والأمثال المشهورة التي تقدم في الاذاعة ، فيها الخطر كل الخطر ! . اذ يطلب فيها من الأمهات ان ينشئن اطفالهن بعضلات قوية ؛ ومنشأ الخطر على زعمها هو ان تلك التنشئة القوية ، انما يقصد من ورائها المقدرة في المستقبل على المقاومة . . .

وعن الطريق الأقصر ، فالبرنامج العربي الذي كان يشرف عليه ابراهيم مسخر للتحريض . . كما كانت تقول الصحف اليهودية . .

وهكذا كانت توضع في الميزان جل احاديث القسم العربي في

الاذاعة ، فيناقش ابراهيم فيها ، ويحاسب عليها ، ولكنه كان يعرف كيف يقف أمام ذلك كله . . .

وانتهت الثورة ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، فكانت الرقابة على الصحف والنشر والاذاعة .

ومن قِبل بعض المشرفين عليها يومئذ ، قامت الدعاية السيئة وقام التحريض ضد ابراهيم .

وكانت قصة (عقد اللولو) أو (جـزاء الأمانـة) التي اقتبسها ابراهيم من كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ ، وقدمها في المذياع في أحد برامج الأطفال . فأخذ الرقيب وعصبته تلك القصة ، وخرجوها تخريجاً يكفل لهم استفزاز المستعمر . . فإذا بتلك القصة التي تشيد بالأمانة والوفاء تشهر سلاحاً في وجه ابراهيم او بالأحرى في ظهره ، من قبل من لا يعرف قيمة لمعنى الأمانة المقدس .

تكاتفت جموع الشر على ابراهيم من هنـا وهناك ، فـأُقيل من عمله في أول اكتوبر سنة ١٩٤٠ .

واذا كان بوسع أحد من الناس ، ان يبيع ضميره ، ويضرب بمبدئه وعقيدته عرض الحائط ، فيظل هانئاً بعمله ، قرير العين ، فما كان بوسع ابراهيم ان يفعـل ذلك ، وهـو الأبي النفس ، العيوف للاستخذاء والذل ، وهو الذي كان يتحول عن الحظ السعيد يأتيه وفيه جرح لكبريائه وكرامته ، أو خلاف لعقيدته ، كما يتحول المؤمن الصادق عن وسوسة الشيطان .

اشمـأزت نفس ابراهيم ، وعـافت البقاء بـين قوم لا اخـلاق

لهم .. فآثر الرحيل عن وطنه الذي تفانى في حبه ، وأذاب روحه في مناجاته ، وعزم على الرحيل الى العراق ، بلد العروبة والعزة .

وفي مساء اليوم الذي أُقيل فيه ابراهيم من عمله ، خف صديقه أكرم بك الركابي الى السيد طالب مشتاق ، قنصل العراق في القدس يومئذ ، وأطلعه على ما جرى بابراهيم ؛ وفي محادثة تلفونية من قبل السيد طالب ، الصديق المحب ، سجل اسم ابراهيم في وزارة المعارف في بغداد ليزاول مهنة التعليم في أحد معاهد العلم هناك ؛ ولقد كان ذلك بسرعة ، ودون أخذ ورد ، اذ كان ابراهيم معروفاً لدى الأوساط الأدبية الرفيعة في العراق .

ولقد لاقى من والده معارضة شديدة بشأن ذلك الرحيل ، وإلحاحاً عليه بالبقاء عنده في نابلس ، ولكن ابراهيم ، على بره بوالده براً يفوق الوصف ، وعلى تعلقه العجيب بوالديه واخوته ـ ولقد كان هذا البر وهذا التعلق من خلائق ابراهيم الممتازة ـ سافر الى العراق وهو عازم عزماً أكيداً على عدم العودة الى فلسطين مدى الحياة !

ومن هؤلاء الذين يصدق فيهم قول يزيد بن المهلب : « هم اهل العراق ، اهل السبق والسباق ، ومكارم الأخلاق » وجد ابراهيم على أبواب بغداد من ينتظره من الأصحاب العراقيين ؛ وفي بيت السيد محمد علي مصطفى ، الاستاذ في دار المعلمين العليا ، نزل ابراهيم وأهله معززين مكرمين ، اذ لم يكن قد تهيأ له بيت بعد . وفي دار المعلمين في الرستمية ، باشر عمله .

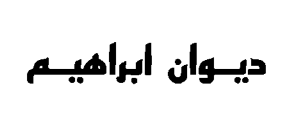
كان للمعاملة السيئة التي لقيها ابراهيم في وطنه وبين قومه تأثير كبير على بنيته النحيلة ؛ فلم تكن تلك البنية لتحتمل كل هذه الآلام

النفسية التي كابدها ابراهيم خلال شهور ، وهو الرقيق الشعور المرهف الاحساس الى حد يكاد يكون مرضاً . فلم يكد يمضي شهران على إقامته في العراق حتى وقع فريسة العلة والسقم ، مما حمله الى العودة الى نابلس قبل انتهاء الفصل الدراسي الثاني .

ونهكت الاسقام ابراهيم ، فنقل الى المستشفى الفرنسي في القدس ، وبعد أيام قليلة ، وفي مساء الجمعة ، الثاني من شهر مايو سنة ١٩٤١ اسند ابراهيم رأسه الى صدر أمه ، وقد نزف دمه ، وخارت قواه ، وهناك اسلم روحه الطاهرة الى بارئه ، واستراح استراحة الأبد .

كان لابراهيم ـ رحمه الله ـ مصحف صغير ، لا يخلو منه جيبه ، تبركاً به من جهة ، وليكون في متناول يده كل حين من جهة أخرى . فلما توفاه بارئه ، كان ذلك المصحف تحت وسادته ، ولا تزال الى اليوم ثنية ثناها في إحدى صفحات سورة (التوبة) . وكانت هذه الآيات الشريفة آخر ما تلاه ابراهيم من كتاب الله اثناء مرضه ؛ ولقد آثرت ان اختم بها الحديث عن حياة ابراهيم إرضاء لروحه .

﴿ الّذين آمَنُوا وجَاهَدوا في سَبِيلِ الله بأمْوَالِهِم وأنفُسِهِم أعْظَم دَرَجَةً عِنْدَ الله ، وأُولئِكَ هُم الفائِزون . يُبَشِّرهُم رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْه ورِضْوَانٍ وجَنَّاتٍ لَهُمْ فيها نَعِيمٌ مُقِيم . خالِدينَ فِيها أَبَداً إنَّ الله عِنْدَه أجْرٌ عَظِيم ﴾ .


ديوان ابراهيم

ملائكة الرحمة[1]

بيضُ الحمائم حسبهنّهْ أني أُردِّدُ سجعهنّهْ
رمزُ السلامة والوداعة منذ بدءِ الخلق هُنّهْ
في كلِّ روض فوق دانيهِ القطوف لهنَّ أنّهْ
ويملْنَ والأغصانَ ما خَطَرَ النسيمُ بروضهنّهْ
فإذا صلاهنَّ الهجيرُ هبْنَ نحو غديرهنّهْ
يهبطن بعد الحَوْم مثلَ الوحي ، لا تدري بهنّهْ
فإذا وقعن على الغدير ترتّبَتْ أسرابُهنّهْ
صفّينْ طول الضّفّتين تعرَّجا بوقوفهنّهْ
كلٌّ تقبِّلُ رسمَها في الماءِ ساعةَ شُرْبهنّهْ
يطفئْنَ حرَّ جسومهنَّ بغمسهنَّ صدورَهنّهْ
يقعُ الرَّشاشُ إذا انتفضْنَ لآلئاً لرؤوسهنّهْ
ويطرْنَ بعد الابتراد الى الغصونِ مهودهنّهْ
تُنبيك أجنحةٌ تصفِّقُ كيف كانَ سرورهنّهْ
ويُقرُّ عينَك عَبْثُهُنَّ ، إذا جثمن ، بريشهنّهْ
وتخالهنَّ بلا رؤوس حين يُقْبِلُ ليلهنّهْ

---

(١) في أواخر عام ١٩٢٤ دخل ابراهيم مستشفى الجامعة الاميركية ببيروت ليعالج من القرحة في معدته ، فاستمر في المستشفى مدة غير قصيرة ثم عاد الى بلده نابلس للنقاهة ؛ ومن وحي إقامته في المستشفى المذكور جاءت هذه القصيدة .

أخفينهـا تحت الجنـاح ونمن مـلءَ جفـونهنَّـهْ
كم هجنني ورويتُ عنهنَّ الهـديـلَ ، فـديتهنّـهْ
المحسنـاتُ إلى المريض غـدونَ أشبـاهـاً لهنّـهْ
الرَّوض كـالمستشفيـات ، دواؤهـا إينـاسـهنّـهْ
مـا الكهـربـاء وطبّهـا بـأجـلَّ من نـظراتهنّـهْ
يشفي العليـلَ عنـاؤهنَّ وعـطفهنَّ ولـطفهنّـهْ
مُـرُّ الـدواء بفيـك حلوٌ من عـذوبـة نـطقهنّـهْ
مهـلاً ، فعنـدي فـارق بـين الحـمام وبينهنّـهْ
فلربمـا انقـطع الحـمائم في الدُّجى عن شـدوهنّـهْ
أمّـا جميـلُ المحسنـات ففي النهار وفي الـدجنّـهْ

١٩٢٤

ذكرى حمية أهل الشام

هـو ذا البحر مـزبـداً يتعـالى　　إثـر بـعض أمـواجـه تتـوالى
تلطم الصخـر كـبريـاءً وعنفاً　　ثـم تـرتـد للخـصم خـذالى
بـضـجـيـج كـأنـه زجـل الـرعـد ورجـف تخـالـه زلـزالا
ما ونت عن جهادها الدهر لكن　　لـطف الصبح كـرّهـا والنضـالا
وهي تستـأنف الجهـادَ بعـزمٍ　　كـلَّ يـومٍ اذا النهـار تعـالى

* * *

عنـد ذاك الخصمّ بقعـة أرض　　قـدَّر الله منحـهـا استـقـلالا
هي حـدّ الســوريتين شمـالاً　　وجنـوبـاً ومـا تنـوء مجـالا
لست تلقى ســوريتـين ولكـن　　قـيـل هــذا تفـنناً وضـلالا
يبتغون التفريق في الجسد الواحد　　خـابت تلك الشيـاطـين فـالا
خلٍّ عني وذكـر من اعتقـوا العبـد وشـدّوا من الـطليقِ العقـالا
عنـد ذاك الخصم بقعـة أرض　　حـرس الله سهلهـا والجبـالا
لا تـرى في فنـائهـا آدمـيـاً　　وهي آوت صـوادحـاً وصـلالا
شمسنـا دون شمسهـا تتجـلى　　بـدرنـا دون بـدرهـا يتـلالا
وسكون الدجى يفك عن القلب　　قـيـوداً ويـبـعـث الآمـالا
ويهب النسيم في السحر الداكن　　يحـيي من الـزهـور تـلالا

زانها من لآلي الطلّ تيجان زهت رونقاً وفاضت جمالا
فاذا اجتاز تلكم الارض غاد يلبس الطلَّ ساقه خلخالا
وترى الطير نافرات خفافاً وثقالاً ويمنةً وشمالا
ويلوح الصباح لوناً فلونا كلما الشمس قاربته استحالا
وكذا البحر خاشع مستكين وهو يُكْسَى من كل لون شالا
يا لها من مظاهر تملك الحس وتوحي لناظريها الخيالا
أيها السائر المجدّ ، رويداً واخفض الطرف عندها اجلالا
تلك مأوى (حرية) سلبت منا قديماً واليوم عزت منالا
ايه يا فتنة الشعوب ويا انشودة الكون شقتنا أجيالا
لك وجه ملائكي وسيم نوره يفعم القلوب جلالا
ومزاج جهنمي عتي يصدع الجور يصهر الاغلالا
صانك الله كم فداك وفي او تحصين كم أبدت رجالا ؟
أنا استغفر الوفا لم يبيدوا يوم خلدت بعدهم أعمالا

* * *

لك في ترب ميسلون دفين كان للذائدين عنك مثالا
مات في ميعة الشباب شهيدا وكذا الحر لا يموت اكتهالا
في سبيل الاوطان سالت دماه « ذي المعالي فَلْيَعْلُوْن من تعالى »
فسلام عليه يوم دعاه وطنٌ مرهق فصال وجالا
وسلام عليه يوم أريق الدم منه وضمخ الاجبالا
هذه روحه أطلت على الشام تزور الربى وتغشى الظلالا
وتحض الرجال فيها على تضحية النفس ما اهينوا احتلالا

يــوم كــانــت قلوبنــا تتـلظى   والعـدى توسـع البـلاد احتـلالا
بــرجـيـم لّمــا أتــاهــم وقــاح   كــان إتـيــانــه عـليـه وبــالا
لم يبت غــير ليلة كــان فـيهــا   يبصر المــوت حـولــه أشكــالا
وكــأني بــه تجــاذبــه الاوهــام رعــبــاً ، فـيـســتــوى اجــفــالا
قـلق يــرقـب الـصـبــاحِ فـلما   ان تجـلّى شـد الـرحـال وقــالا
الـفــرار الـفــرار   ألـفيتُ في الـشــام نـكــالاً وفـتـيــة أبــطالا
ولــو ان المـقــام طــال ببــيروت لـكــان المـصــير أســوأ حــالا

* * *

هـذه شيمـة الكـرام بني الشـام   سـمت همـة وطـابـت فعــالا
عـربي   إبـاؤكــم   أمــويّ   لا أبـاد الـزمــان تلك الخـلالا
كـل جـرح أصـابكم حـل منـا   في صميم القلوب يـأبى اندمـالا
يحرس الله مجـدنــا مـا بــذلنـا   في سبيـل الاوطان نفسـاً ومـالا

٢٤ مايس ١٩٢٥

عارضي نوحي بسجع

خطرت بالأمس ريحٌ صرصرُ
فالتوى غصن شبابي الأخضر
ورأيت الزهر عنه ينثر

مثلمــا ينثـر دمعــي

يا شبابي أنت أحرى بدمي
لا بدمعي أو شكايات فمي
خلِّ عنــي فصحابي لوّمــي
ملأوا باللوم سمعي

سئموا نوحي وعافوا منطقي
هم ذوو أفئدة لــم تخفق
أنا ـ إن يدروا ـ بحتفي ملتقِ
وغداً يهدأ روعي

وطأة الليل على قلبي الحزين
مزجت منه بأنفاسي أنين
ما له وقع بسمع العالمين
وبسمعي أي وقع

أنت يا ورقاء من دون الأنام
تسمعين النوح مني في الظلام
فاذا ما نحت يا رمز السلام
عارضي نوحي بسجع

يا موطني

ألقيت في حفلة توزيع الشهادات في مدرسة النجاح النابلسية

خـطر المسـا بـوشـاحــه المتلون   بين الربى يهب الكـرى للأعـين
وتلمس الـزهر الحييَّ فـاطـرقت   أجفـانـه شــأن المحب المـذعن
ودعا الطيور الى المبيت فرفرفت   فوق الوكـون لها لحـون الارغن
وتـسـللت نـسـمـاتـه في إثـره   فـإذا الغصون بهـا ترنـح مدمن
آمــال أيـام الـربيــع جميعهـا   حسن (وعيبال) اكتسى بالأحسن
جبـل لـه بـين الضلوع صبـابـة   كـادت تحـول الى سقـام مـزمن
وتفجـرت شعـراً بقلبي دافقـاً   فسكبت صـافيه ليشرب مـوطني

* * *

يـا موطنـاً قرع العـداة صفـاتـه   أشجيتني ومن الــرقــاد منعتـني
يـا مـوطنــاً طعن العـداة فؤاده   قـد كنت من سكينهم في مـأمن
لهفي عليك وما التهـافي بعدمـا   نـزلـوا حمـاك عـلى سبيـل هـين
وأتــوك يبـدون الــوداد وكلهم   يـزهـو بثـوب بـالخـداع مبـطن
قد كنت أحسب في التمدن نعمة   حـتى رأيت شراســة المتمــدن
فـاذا بجانب رفقـه أكر الـوغى   وإذا الحـديد مـع الكـلام اللين

الـذنب ذنبي يـوم همت بحبهم   يـا مـوطني هـذا فؤادي فـاطعن
واغمـر جراحـك في دمي فلعله   يجـدي فتـبرأ بعـده يـا مــوطني

* * *

عجبـاً لقـومي مقعـدين ونـومـاً   وعـدوهم عن سحقهم لا ينثني
عجبــاً لقـومي كلهم بُكْمٌ ومن   ينــطق يقــل يــا ليتني ولعـلني
لم يـوجسون من الحقيقـة خيفـة   لم يصـدفون عن الـطريق البين
ان البــلاد كــريمــة يــا ليتهــا   ضنت عـلى من عقها بـالمدفن

* * *

قالوا الشباب . . فقلت سيف باتر   واذا تثقف كـان صـافي المعـدن
مـرحى لشبـان البـلاد اذا غـدا   كــل بـغــير بــلاده لم يـفــتـن
مـرحى لشبـان البــلاد فـما لهم   إلاّ السمـو إلى العلى من ديـدن
نهض الشباب يطالبون بمجدهم   يــا أيهـا الــوطن المجيـد تيمن

١٦ يوليه ١٩٢٥

يا سراة البلاد

يا سراةَ البلاد يكفي البلادا　　ما أذاب القلوبَ والاكبادا
انتداب أحدُّ من شفرة السيف　　وأورى من المنايا زنادا
وعد بلفور دكّها فلماذا　　تجعلون الأنقاض منها رمادا
ما الذي تفعلون والجو مربدٌّ　　وهذي الاعداء تقضي المرادا
أفرغتم من كل أمرٍ سوى　　المجلس يحتاج همةً وجهادا
أحبط الله سعيكم أَلِحبِّ　　الذات قمتم تهيّئونَ العتادا
تنبذون الأوطان في طلب　　المنصب والدين والهدى والرشادا
ان في الموطن العزيز سواه　　ألف شغل فأوسعوها اجتهادا
وطن بائس يباع وأنتم　　لا تزالون تخدعون العبادا
مثخن بالجراح أبرأه الله　　فهلا كنتم له عوّادا
كيف يلقى من هادميه بناةً　　كيف يرجو من جارحيه ضمادا
يا جناة على البلاد بدعوى　　الخير والبر ، لا نعمتم رقادا
قام من بينكم سماسرة السوء　　فهل تشتكون ثم اقتصادا
في غدٍ ينشأ الصغار فيبغون　　تلاداً وما تركتم تلادا
بعتموه إلى العدو فمن أين يلاقون ملجأ ومهادا
أنتم اليوم تزرعون فساداً　　وغداً سوف يثمر استعبادا
يا سماء انقضيّ ويا أرض ميدي　　قتلت أمةً وبادت بلادا

٢٩ آب ١٩٢٥

عيناي مطبقتان

القلب متصل الوجيف تكاد تلفُظه ضلوعي
والليل لم يهب الكرى لكن حباني بالدموع
والصبح في مهوىً سحيق لا يبشر بالطلوع
والكون نائم والفكر هائم
يتلمس الحسناء فاتنتي بهاتيك الربوع

* * *

عيناي مطبقتان . . . لكني أرى تلك النجوم
متألقات بالفضاء على غياهبه تعوم
فإخال فاتنتي تمتع بينهن بما تروم
فأجيل عينا تنهلّ حزنا
فأرى النجوم تريد أن تنقض فوقي كالرجوم

* * *

لا شيء يخترق السكون سوى هديل حمائمي
حملته لي بعض النسائم في الظلام القاتم

فوددت لو يشفى الفؤاد من الأسى المتقادم
فاذا الهديل لا يستحيل
قلباً يسير به الهوى في لجه المتلاطم

* * *

عبثاً أخفف عن فؤاد لا يقر له قرار
عبثاً أعلله بلقياها وقد شط المزار
حذرته حباً عواقبه اللواعج والدمار
لله قلب أغواه حبٌّ
فاذا به جم العثار ويستجير ولا يجار

١٩٢٥

شوق وعتاب

كيف أغـويتني وأمعنت صـدا   يـا حبيباً أعـطى قليـلاً وأكـدى
ودَّ قلبي لـو يجهـل الحب لمـا   ان رآه يحـول سـقـماً ووجـدا
وشكت أضلعي من القلب ناراً   هل عهدن الهوى سلاماً وبردا ؟!

* * *

طلع الفجر بـاسـماً ، فتأمـل   بنجوم الـدجى تَـرَنَّحُ سهـدا
هي مثـلي حـيرى وعـما قـريب   تتـوارى مـع الـظلام وتهـدا
لـك حمّلتها رسـالـة شـوق   وعتـاب ، أظنهـا لا تؤدى . . .

* * *

قلت للطير حـين أصبـح يشـدو   «أيها الطير عم صبـاحاً!» فـردّا
ثـم غنى أنـشـودة عن حـبيب   لم يكن ظـالمـاً ولا خـان عهـدا
أضرم الـذكريـات بي ثم ولى   لا رماك الصياد. . أسرفت جدا

* * *

جمـع الله في محيـا حـبيـبي   أقحـوانـاً ، ويـاسمينـاً وورداً

وابتسـاماً لا يهجـر الثغـر إلا   عنـد قولي لـه : أتنجز وعـدا ؟
لا عرفت الوفا ، ولا كان وعـدٌ   يجعـل البسمـة الـوديعـة حقـدا

الجامعة الاميركية **١٦ أيار ١٩٢٦**

ذكرى دمشق

بمناسبة استشهاد المجاهد احمد مريود

هادىء القلب مطبق الاجفان   مطلق الروح راقد الجثمان
مَلَكٌ عند رأسه باسم الثغر   جناحاه فوقه يخفقان
غادة تملأ الكؤوس وخَود   تنضح الجرح من رحيق الجنان
وحواليه طاف أسراب حور   بغصون النخيل والريحان
وتهاوى الطيور عن شجر الخلد   تَغَنَّى بأعذب الالحان
من كبير يزهو بأبهى رياش   وصغير مصوّر من حنان
وأفاق الشهيد منشرح الصدر   شكوراً لأنعم الرحمان
واستوى جالساً على رفرف خضر   غوال وعبقري حسان
وسقته ملائك الله خمراً   جعلته حيّاً مدى الازمان

* * *

وتجلّت أنوار من مَلَك   الملك فخرَّ الحضور للأذقان
ثم حيَّى ذاك الشهيد ونادى   أيهذا الشهيد لست بفانِ
رضي الله عن جهادك فاخلد   وتبوّأ في الخلد أعلى مكان
وخلود النعيم عندي جزاء   للذي مات في هوى الاوطان

* * *

ما مصير الشهيد يا ربّ إلاّ غبطة عند راسخ الايمان
غير أن الشباب ان كان غضّاً والتوى الغصن منه في الريعان
وتراءت أزهاره ذابلات عبثت للرياح فيها يدان
تعذر العين في البكاء عليه دمعَ سلوى ، لكن بلا سلوان

* * *

رب عفواً ان راعنا فَقْدُ ندب ضاحك الوجه في قطوب الزمان
صارم كان مغمداً صقلته يدُ حرية أُنوفٍ حصان
شهرته حتى أذابته مسحاً في رقاب الاعداء يوم الطعان
يا دموعي وهبتك القلب ان لم تقنعي بالقريح من أجفاني
فهو قلبي أليف همي وحزني وحليف الزفير والخفقان

* * *

يا ربوع الفيحاء أنت عروس أيّمتها طوارق الحدثان
الاكاليل لم تزل غضة الزهر ولم تنقطع أغاني الغواني
والمغاني مأهولة والروابي باديات نواضراً للعيان
والندامى بين الكؤوس قيام رنحتهم مدامة الغدران
والعذارى سوافر لاهيات بالأراجيح وهي في الاغصان
يا عروس الدنيا وما حال قلب فجعته أحزانه بالأماني
الخطوب اللائي نزلن جسام قد أحلن الهنا إلى أحزان
والأسى في الضلوع أشبه شيء بك لما قذفت بالنيران

منـك دمـع ومن محبـك دمـع بـردى والمحـبّ متـفـقـان
رحـل العام عنـك جهم المحيّـا مكفهـرّاً فكيف حـال الثـاني ؟

* * *

لا ترعك الخطوب يا ابنة مروان ولـوذي بـالله والـفـتـيـان
الشبـاب النضير والأمـل الثابت خـلّان كـيـف يـفـترقـان
والشباب النضير ان سيم خسفاً ثـائـر ، بـاسـل وَثـوب الجنـان
لفرنسا أن تحشد الجيش كالسيل وتبـدي عجـائب الطيـران . . .
لفـرنسـا مـا تشتهي ، لفـرنسـا مـا تمنى فمـوعـد الثـأر دان

* * *

يـا لهـول الـوغى وقـد هـاج سلطان واضحى يجيشُ كـالـبركـان
أسـدٌ فـوق ضـامـر عـربي شـاهـر للوغى حسـامـاً يمـاني
أرهـقـتـه المـنـون ، ثـم أنـامـتـه لـيـوم محـجّـل أرونـان
« صفحتـاه عقيقتـان من الـبرق وفي مضربيـه صـاعقتـان »

* * *

وطـبـيـب أغـرّ يُـعـطي دواء لسقام الأوطان . . . والأبدان . .
أليـوثـاً أفلتَّ يـا سجن أرواد تُـذيـق العـداة كـأس الهـوان
أي حـرب أثـار ظلمُ فـرنسـا فـدهـاهـا مـا ليس بـالحسبـان

المغاوير حضرٌ وبداة زمجروا دون أمة الطغيان
والجياد العتاق وهى طرادٍ مسرعات بهم الى الميدان
والسيوف الرقاق ظمأى دماء تشتكي بثها الى المرّان
فاسألي عن فعالهم يا فرنسا ان ابناءهم لدى غملان
وأقيمي ممالكاً وعروشاً وافزعي للخداع والبهتان
ان مَن تمنحين مجداً وملكاً ورثوا الملك عن بني مروان
سوف لا ينثنون عن طلب الحق قتالا أو تضرعي للأمان

* * *

إيه روح الشهيد زوري فلسطين وطوفي قدسيةً بالمغاني
وانزعي من صدورنا جمرة الحقد وسلّي سجيّة الشنآن
همّ إخواننا الجهاد واضحى همّنا في مجالسٍ ولجان
أيها العاشق المناصبَ مهلاً أبتاج ظفرت أم صولجان
كيف أنساك حبّ ذاتك مهداً أنت لولاه كنت للنسيان
يا فلسطين هل لديك سريّ غير ذي مطمع ولا متوان
ليس عندي سوى التلهف أهديه وقلب موله بك عان
وشعور نسقته في بياني ودموع أودعتها أشجاني
هل أمنّا العداة حتى رقدنا أم وجدنا الهوان حلو المجاني
أين منا الأبي ؟ أين المعزّي أين منّا معذب الوجدان
فاتقوا الله واذكروا نهضة الشام وخصّوا العدوّ بالاضغان

نابلس ، ١٦ تموز ١٩٢٦

عند شباكي(*)

بُكوري عند شباكي لأنْشق طيبَ ريّاك
ولا سلوى سوى نجوى أُسرُّ بها لمغناكِ
أُسرِّحُ نحوه طرفاً أُمنِّيه بمرآكِ
وطرفاً في قرار (الدّار) موعوداً بلقياكِ
تمرُّ عليَّ ساعاتٌ أُشيِّعُها بذكراكِ
وأخشى أن يرفَّ الجفنُ يحرمني محيّاكِ

* * *

طلعتِ، فما لقلبي شاءَ يفضحُني فَسَمّاكِ!
صباحَ النورِ! من دنفٍ تنهّد، ثمَّ حيّاكِ..
سلامَ الرُّوحِ والريحان، أنتِ نعيمُ دنياكِ
مررتِ، وقيلَ مرَّ الناسُ، هل أبصرتُ إلّاكِ؟!

* * *

(*) نشرت في العدد ٣٩ من الأحرار المصورة.

وداعاً يا معذبتي وعينُ الله ترعاك
وداعَ سُوَيْعةٍ تمضي على جمرٍ وألقاكِ
وأنسى ليلةً سَلَفَتْ وطرفي ساهرٌ باكِ
ومضجعَ أضلعٍ مُنِيَتْ بنيرانٍ وأشواكِ

***

شكرتُ الله أنَّ (الدّار) تجمعني وإيّاكِ
وتُلْقينَ السُّؤالَ عليَّ في أمْرٍ تَعَدَّاكِ
وحين أُجيبُ تمنحني ابتسامَ الشكرِ عيناكِ

***

هجرتُ (الدَّارَ) أضربُ في فضاءِ الله لولاكِ
ولولا رحمة العينيْن قلباً بات يهواكَ
وعطفٌ من لدنكِ على أسىً في النفسِ فتّاكِ
إذن لَرَأيْتني يوماً صريعاً تحتَ شباكي

١٩٢٦

في المكتبة[1]

وغريرةٍ في المكتبه بجمالِها متنقِّبَهْ
أبصرتُها عند الصباحِ الغضِّ تشبه كوْكَبَهْ
جلستْ لتقرأ أو لتكتبَ ما المعلمُ رتّبَهْ
فدنوْتُ أسْتَرِقُ الخطى حتّى جلستُ بمقرُبَهْ
وحبستُ ، حتى لا أرى ، أنفاسيَ المتلهّبهْ
ونهيتُ قلبي عن خفوقٍ فاضحٍ ، فتجنَّبهْ

* * *

راقبتُها ، فشهدتُ أنَّ الله أجْزَلَ في الهِبَهْ
حملَ الثّرى منها على نورِ اليديْن وقَلّبَهْ
وسقاه في الفردوس مخْتومَ الرحيق وركّبهْ
فإذا بها مَلَكٌ تنزَّلَ للقلوبِ المتعَبَهْ

---

(١) «الآنسة م. ص فتنة طلعت سنة ١٩٢٦ في الجامعة الاميركية فأحيت قلوباً وسحقت قلوباً ، ولم أكن قد تورطت بغرام حتى هذا التاريخ ، فتورطت ودخلت المعركة وبلوت حسنات وسيئات . . . » (من تعليقات ابراهيم) . وم. ص من كفركنة (قضاء الناصرة) وهي بلدة مشهورة بالرمان ، يقول فيها عمر فروخ زميل ابراهيم وصديقه : « لم تكن جميلة بالمعنى الذي تواضع عليه واضعو أقيسة الجمال ، كانت فتاة فارعة الطول سمراء ، مفصلة نواحي الوجه تجول على وجهها ابتسامة خفيفة اذا كانت غافلة في مقعدها او مسيرها . . . الخ (شاعران معاصران : ٣٢) .

يا ليتَ حظَّ كتابها لضلوعيَ المتعذِّبَهْ
حَضَنَتْهُ تقرأُ ما حوى وحَنَتْ عليه وما انتبَهْ
فإذا انتهى وجهُ ونال ذكاؤها ما استوعبَهْ
سَمَحَتْ لأنْمُلِها الجميلِ بِريقِها كي تَقْلِبَهْ
وسمعتُ وهْيَ تُغَمْغِمُ الكلماتِ نَجْوى مُطْرِبَهْ
ورأيتُ في الفمِ بِدْعَةً خلَّابةً مستَعْذبَهْ ...
إحدى الثنايا النيِّراتِ بَدَتْ ، وليس لها شَبَهْ
مثلومةً من طرفِها لا تَحْسَبَنها مَثْلَبَهْ ..
هِيَ ، لو علمتَ ، من المحاسنِ عند أرفع مرتبهْ
هيَ مَصْدَرُ (السيِّناتِ) تُكْسِبُها صدىً ما أعذبهْ

* * *

وأما وقَلبٍ قد رأتْ في السّاجدين تَقَلُّبَهْ
صَلّى لجبّارِ الجمالِ ، ولا يزالُ مُعَذَّبَهْ
خَفَقانُهُ متواصلٌ والليلُ ينشرُ غيْهبَهْ
متعذِّبٌ بنهارِهِ حتى يزورَ المكتبهْ ..
وَأمَا وعينِكِ والقُوى السِّحريّةِ المتحجِّبهْ
ما رُمْتُ أكثَرَ من حديثٍ ، طيبُ ثغرِكِ طَيِّبَهْ
وأرومُ سِنّكِ ضاحكاً حتّى يلوحَ وأرْقُبَهْ

١٩٢٦

(نشرت في العدد ٤٠ من الأحرار المصورة)

سلام عليك

سـلامٌ عـليـك ولـو شـفَّـني   من الـوجـد واليـأس مـا شفني
أداري غـرامـك جهـد الحليم   فـما يـستـريـح ومـا أنـثـني
وقـلبي كـما يشتـهيـه الهـوى   لـغـير جمـالـك لم يُـذعـن
خـفـوقٌ ولـو شئتِ سـكنتـه   ولـو شـاء غـيرك لم يـسـكن
سـقـيـم ولـو شئت أبـرأتـه   بعـطفـك من دائـه المـزمـن
اذا كنت مـنـه تجـاه اليـمـين   يخـفُّ الى جـانـبـي الأيمـن
ألا إنـه مـرهـق يـسـتـجـير   فـترثـي لـه أدمـعُ الأعـين

* * *

٣١ كانون الأول ١٩٢٦

تحية الريحاني(*)

مـرحبـاً بـالثقـافـة الغـربيـه   تتجـلى في روحـك الشرقيـه
مرحباً بـالحكيم محيي المعري   مـرحبـاً بـالنبوغ والعبقـريـه
مرحباً بـالعـظيم أكـرم ضيف   لمـلوك الجزيـرة العـربـيـه
فيلسوف الفريكةِ الصائب الرأي   ربـيـب الحـرية الـفـكـريـه
لم يـزدنـا قـدومـك اليـوم علماً   بـك يا صـاحب البنان النديـه
حملت هـذه البنـان يـراعـاً   فبلونـا كيف القـوى السحـريـه
فاض حتى غدوتَ والنـاس منه   بعيـون عـن أن تـراك غنيـه
عَـيْبُـهُ انـه لسـان حسـود   نَشَرَ الفضـل منك بين البريـه
فيـه مـا شـاء ذو الحجى وتمنى   مـن غـذاء لـه ومـن أمنيـه
حكمـةٌ تمـلأ الصـدور ضيـاء   خبرة الـدهـر أمّهـا والـرويـه
وهـدى جـائـرٍ وسلوى حـزين   من ضمـيـر حيّ وأصـدق نيـه
بـبـيـان كـأنـه نَـفَـحـاتٌ   حملتهـا يـد النسيم زكيـه

* * *

جئت والقـومُ يا أمـينُ سكـارى   وعـبيـدُ المـآرب الشـخصيـه
جئـت والقـوم ذاهـلون نـيـام   قـد أضاعـوا القضيـةَ الـوطنيـه

(*) ألقيت في النادي العربي .

جئت والقوم في فلسطين نهب ... لأيادي المطامع الاشعبيه
بلدي كان قدوة لفلسطين ... شديداً دفاعه في القضيه
كان ذا نخوة وفيه حميه ... أين منها حمية الجاهليه
كان يدعى حصنَ البلاد فأضحى ... وفلسطين منه تلقى الرزيه
نبِّه القوم يا أمين وسلهم ... أين باتت تلك النفوس الأبيه
جعلتهم اهواؤهم ساعة الشدة ... شتى القلوب سود الطويه
بينما أنت بالجزيرة تسعى ... لوفاق ووحدة قوميه
وترود القفار وهي سعير ... من حجازيةٍ الى نجديه
دبَّ فينا الشقاق يا لبلاد ... أصبحت تحت رحمة الحزبيه
دمعة يا أمين قد غاض دمعي ... وفلسطين منه ليست رويّه
صرخة يا أمين قد بُحَّ صوتي ... أتراهم في رقدة أبديه ؟
بثَّ فيهم روحاً جديداً يفيقوا ... ويروا كم يد تعيث خفيه

* * *

ان أكن مسرفاً بلومي فلومي ... صادر عن محبتي القلبيه
وعزيز عليَّ أن تبصر العين ... فلسطين وهي تعطى هديه
وفلسطين لن تكون ضحيه ... قبل أن تذهب النفوس ضحيه
أيها الفيلسوف جئت بخير ... فسلاماً وراحةً وتحيه
دمت حتى تشاهد العرب طراً ... في ظلال السلام والحريه

* * *

١٩ نيسان ٢٧....

نزيهـــة(١)

رأيـتـهـا ألـف مـرة فـلم تجـدْ لـي بـنـظره
حـتى غـدوت ومـا لـي عـلـى الـتـجـلُّـد قـدره
فـبـاح بـالحـب دمـعـي ونـلـت بـالحـب شـهـره
فـهـل أتـاك حـديـثـي فـفـيـه لـلغـيـد عـبـره
يـا غـادة في جـبـين الجـمال والـلطف غُـره
مـتى تجـوديـن لـلنـفـس بـالهـنـا والمسرّه
عـجـبـت لـلحـب إنـي أرى الحـسـان بـكـثـره
خـلقـن مـن طـلعـة الـفـجـر وهـو يـفـتـح صـدره
فـما ابـتـغـيـتُ وعـيـنـيـك مـن هـواهـنَّ ذره
لـكـن لحـسـنـك والله فـتّـح الحـب زهـره
أنـت الحـديـث وشـغـلي لـدى الـعـشـي وبـكـره
لم تـغـربي يـا ذكـاء الجـمـال عـنّـيَ فـتره
فـهـل لـقـلـب كـئـيـب يـا مـنـيـتي مـن مَـبَـرَّه

* * *

مايس ١٩٢٧

---

(١) اقتصرنا منها على أبيات مختارة .

كارثة نابلس

أدموعُ النساءِ والأطفالِ تجرح القلب أم دموع الرجالِ
بلدٌ كان آمناً مطمئناً فرماه القضاءُ بالزلزالِ
هزَّةٌ ، إثر هزَّة تركته طللاً دارساً من الأطلالِ
مادت الأرضُ ثم شَبَّتْ وألقت ما على ظهرها من الأثقال
فتهاوتْ ذات اليمين ديارٌ لفظت أهلها ، وذات الشمال
بعجاجٍ تُثيره تَرَكَ الدنيا ظلاماً ، وشمسها في الزوال
فإذا الدور وهي إمّا قبورٌ تحتها أهلُها ، وإمّا خوال
وأرقُّ النسيم لو مرَّ بالقائم منها لدكّه ، فهو بال

لا تقف سائلاً بنابلس الثكلى فما عندها مجيبُ سؤال
أرأيت الطيور تنفر ذعراً من خفافٍ عن سرحها وثقال
هكذا نُفِّرتْ عن الدور أهلٌ عمروها ، الى كهوف الجبال
أرسومٌ وكنَّ قبل صروحاً كلُّ صرحٍ عاتٍ على الدهر عالِ
فالتحفنا السماء بعد ستورٍ وشفوفٍ مُذالةٍ وحجال
وليالي الأعراس يا لهف قلبي عطّلتها تقلّباتُ الليالي[1]
أضحك الدهر يا ابن ودي وأبكي يوم لم يخطر الأسى في بال

(١) كانت تقام في اللحظة التي وقع فيها الزلزال حفلة زفاف كبرى للصديق السيد حمدي المصري واخوانه وابناء عمه .

ربَّ وادٍ كـأنّـه النَهَـرُ الأخضرُ   يختـال في بـرودِ الجـال
خـطرات النسيم ذاتُ اعتـلالٍ   فيه والـدّوح مـائس بـاختيـال
غَشِيَتْـهُ الـطيـور مختـلفـات   رائـعـات الألـوان والأشـكـال
صـادحـات عـلى أرائـك في الأيْـك يَصِلْنَ الغـدوَّ بـالآصـال

نغـمات أرسلْنَهـا ذات تسجيعٍ   وكـرٍّ في الـلحن واسـترسـال
يـا طيور الـوادي غليـل فؤادي   كـان يشفيـه بـردُ تلكَ الـظلال
يـا طيور الـوادي رزايـا بـلادي   مَـزَجَتْ لي الغنـاء بـالاعـوال
كـان واديـك لـلسرور مـآلاً   فـغـدا بـالـثـبـور شرَّ مـآلَ
كـان (عيبال) من صـدى الأنس يهتزُّ فـإذا سمعت في عيبـالِ[1]
كان (جرزيم) منزهاً والغـواني   في ظـلال منه ومـاءٍ زلالِ[2]
أدمـوع عـيـونـه ؟ أصـبَـاه   زفرات الارمال والاثـكـال

يـا يد المـوت ما عهـدتُ أُلوفـاً   منـك هـوجـاً تمتـد لـلإغتيـال
طغت الحـرب خمسـة مـا دهتنـا   كـثـوانٍ مَـرَّتْ بـغـير قـتـال
ووجـوه المنـون شتّى ، فبـانت   كـلُّهـا عـنـد هـذه الأهـوال
مـن وحـيـدٍ لأمِّـه وأبـيـه   جمـعـوه مـفـرَّقَ الأوصـال
ومـكبٍّ عـلى بـنـيـه بـوجـهٍ   خلط الـدمع بـالـثرى المنهـال
وفتـاةٍ لاذتْ بحقـويْ أبيـهـا   جـزعاً ، وهـو ضـارع بـابتهـال
وحـريضٍ رأى ابنـه يسلم الـروح ، قـريبـاً منـه بعيـدَ المنـالِ[3]

---

(١) « عيبال » جبل يكتنف نابلس من الجهة الشمالية .
(٢) « جرزيم » : جبل يكتنف نابلس من الجهة الجنوبية .
(٣) الحريض : الساقط الذي لا يستطيع النهوض .

ومريضٍ وعُوَّدٍ ، صرخ الموت ، وكانوا يدعون بالابلال
خُسف البيتُ بالمريض ، ومَنْ عاد ، وبالمُحْصَنات والأطفال
قد رأينا في لحظةٍ وسمعنا كيف تلهو المنون بالآجال
ههنا نسوة جياع بلا مأوى ، سترن الجسوم بالأسمال
ههنا أسرة تهاجر والغمُّ بديل الأثاث فوق الرحال
ههنا مبتلىً بفقد ذويه ههنا معدم كثير العيال
ملأ الحزنُ كلَّ قلبٍ وأودتْ ريح يأسٍ بنضرة الآمال

دخلاءَ البلاد ، انَّ فلسطين لأرضٌ كنوزها من نكال
تِبْرُها صفرةُ الرَّدى فخذوه عن بنيها ، وآذنوا بارتحال
ربِّ لطفاً ! فقد أتانا نذيرٌ بوباءٍ من بعد هذا الوبال
وجرادٌ ، وكل آتٍ قريبٌ أوَ بعد الامحال من امحال
ربِّ ان الكروب تترى علينا حسبنا كرب هجرة واحتلال

١٦ تموز ١٩٢٧

سر الخلود

في رثاء سعد زغلول

لي بالحياة تعلق وتشدد ... والعمر ما بعد المدى فسينفد
نَفَسٌ أُردده وأعلم أنه ... للموت بين جوانحي يتردد
ويلمُّ بي ألم أُخاتله بما ... يصفُ الطبيبُ فيستكين ويخمد
ويسرني أني نجوتُ من الأذى ... ويلي كأني إن نجوت مخلد
وكأنني ضلّلتُ سيرَ منيتي ... إن الطريق إلى الفناء معبّد
هيهات لست بخادع عينَ الردى ... عين الردى يقظى وعينك ترقد
أنا أنت بعد الموت لا مستعبد ... حرّاً فأحقره ولا مستعبَد
ورأيت خزاف الحياة يذلها ... فيدوسها ، ويعزّها فينضد
هل كان سعد كما علمت من الورى ... فيموت ؟ كلا إن سعدَ لأوحد
هبت عواصف نعيه مصريةً ... فإذا بها شرقية تتمرد
وطفقت أسأل يومه فاذا به ... يومٌ لعمر الموت أبكم أسود
وارتبت في الأقدار ليلة نعيه ... ولحدت ريبي يوم قيل سيُلحد
فُجعت بنو مصر بفقد زعيمها ... الله أكبر أي أروع تفقد
يا سعد يا ابن النيل رنَّقَ ماءه ... ثكلُ البنين وهل كسعد يولد
مصر التي فقدتك قلب خافق ... والشرق أضلعه التي تتوقد
وكأنها كبد يصرّعها الأسى ... وكأنه لمّا تعلقها يد
عبدتك مصر وأنت باعث مجدها ... إن البطولة منذ كانت تعبد

رب البطولة عبدها قذفت به شمل الخطوب يبيدها ويبدد
يلقى الخطوب وقد طغى تيارها فاذا به صخر هنالك جلمد
واذا بها لجج تدافع موجها فيصدها فتحورُ عنه ويصمد
وإذا به فوق الأكفِّ مكلل بالغار يكبره الورى ويمجد
واذا به تحت الصفيح بمعبد والكعبة الغراء حيث المعبد
واذا به عينُ الخلود وسره تعنو له حر الوجوه وتسجد
يا سعد شأنك والبطولةَ انها تجثو لديك وأنت أنت السيد
الله في سبع وستين انطوت والموت مضاء العزيمة يطرد
نصب الحبائل جمة فتقطعت وعهدته يرمي السهام فيقصد
ما كان في المنفى بأخفق منه في مصر يريشُ سهامه ويسدد
ورأى بطولتك التي صمدت له وكأنها درع عليك مسرَّد
فرمى حبائله وحطم قوسه وأتى سريرك خائفاً يترصد
فسقاك خمرةَ كأسه فعرفتها وجرعتها « وأنا انتهيت » تردد
نعم انتهيتَ وإنما تلك القوى نور يفيض وجذوة لا تهمد
فهدت سبيل الشرق في ظلماته فجرى يغوّر في الحياة وينجد
وهوت بكلكلها على أعدائها وتفرعنت مصرٌ لمن يتنمرد
الفرقد الهادي يحجّبه الثرى فمتى يؤوب وأين يطلع فرقد
يا حسرتاه على البلاد يقيمها غدر المنية بالرئيس ويقعد
زفراتها زفراتُ مصر تصدعت من هولهن قلوبنا والأكبد
(عيبال) منذ تزلزلت أركانه ما انفك يسعده نداك ويسعد[1]
عزَّيته بمصابه ووصلته حسبي عزاؤك نعمةً لا تجحد

---

(١) يشير إلى إعانة سعد لمنكوبي الزلزال بنابلس .

جود ختمت به الحياة وإنه ... لختام ألف صنيعة لك تحمد
ولقد نعيت له فبات وحزنه ... عين تسيل به وعين تجمد
هذا ثرى مصرَ التي أحببتها ... نم هادئاً يا سعدُ طاب المرقد
تفديك أفئدة تود لو انها ... أمست هي الرمس الذي تتوسد
وتود لو أن الأزاهير التي ... قد كللوك بها عيون تسهد
الروح والريحان خير تحية ... والسلسبيل ـ ولست تظمأ ـ مورد
لم يخل منك الذكر في وطن وما ... بَرِحَتْ لذكرك لوعة تتجدد

نابلس ، في ٢٧ سبتمبر ١٩٢٧



مَعِين الجمال

أسعـديني بـزورةٍ أو عِـديني　　طـال عهـدي بلوعتي وحنيني
أدَّعي الهجـرَ كـاذبـاً وغـرامي　　في قـرارٍ مـن الـفـؤاد مَكـين
غِيضَ دمعي وكان رِيّاً لـروحي　　من غليـل الأسى فمنْ يـرويني
يـا مَعـينَ الجـمال أذبلتِ قلبي　　أنـعشيـني بنهلـةٍ أنعشيـنـي
يـا مَعـينَ الجمال ، قـطرةَ مـاءٍ　　أو أفـيضي ابتـسـامـةً تُحييـني

* * *

ضجعتي في الرياضِ بين الرياحين　　قـريبـاً من مـاءِ عَـينٍ مَعـينِ
فـتنـاولـتُ أُقـحـوانـاً نـديّـاً　　ونـداهُ كـالـلـؤلـؤِ المـكـنـونِ
ونَـزَعتُ الأوراقَ عنها تِبـاعـاً　　أتحـرَّى شـكِّـي بهـا ويـقـيـني
فـإذا وافقتْ مُنـايَ تفـاءَلـتُ　　وإلاَّ كـذَّبـتُ فـيـهـا ظـنـوني
ذاك لهـوٌ فيـه العـزاءُ لـنفسي　　فـاضحكي من تعلُّلي وجنـوني
طُفْتُ بـين الأزهـار ، والنّشْرُ من نَشْـركِ فيها ودِقّـةُ التكـوينِ
قطرات النـدى عليها دمـوعي　　أنـتِ أدْرى مَنِّي بمـا يُـبـكـيـني
أنْتقي طـاقـةً وذوقُـكِ يَهـديني　　الى الـرائـعـاتِ في الـتّـلوينِ
يـا حيـاةَ القلوبِ ويْـلي عليها　　ذَبُـلَتْ من بـقـائها في يمـيـني
فخـذيها عسى تُـرَدُّ اليها الـروحُ　　إني أخـاف مـرأى المـنـون

* * *

ما أشَدَّ الهوى، وما أطولَ الليلَ ‏ وما أبعدَ الكرى عن جفوني
رُبَّ ذكرى ـ وما هجعتُ ـ استحالتْ ‏ لخيالٍ سَرَى فأذْكى شجوني
ضمّني ، ثمَّ ردَّني وتلاشى ‏ في الدَّياجي كما تلاشى أنيني
راعني أمرُه فنبّهتُ مَنْ حَوْلِيَ ‏ ذُعْراً بصرخةٍ في السُّكونِ
سألوني فلم أُجِبْ ، بل تناوَمْتُ ، ‏ فناموا وللأسى خلّفوني

* * *

مرحباً بالحياةِ عادَ صداها ‏ وانجلى الليلُ عن صباحٍ مُبينِ
سُفَراءُ الصباحِ نورٌ وطيرٌ ‏ تتغنَّى في مائساتِ الغصونِ
ونسيمٌ يُداعبُ الدَّوْحَ ، والبحر ‏ شجيُّ الغناءِ عَذْبُ المجونِ
وجلالُ الوِدْيان مِلْءُ الحنايا ‏ وجمالُ الجبالِ مِلْءُ العيونِ
في اخضرارٍ كأنه أمَلي فيك ، ‏ وثلجٍ نقاؤهُ كالجبينِ

* * *

إنما هذه الطبيعةُ أُنسي ‏ ومُعيني إنْ لم أجدْ من مُعينِ
أتَقَرَّى جمالَ ذاتكِ في ما ‏ أبْدَعَتْهُ يَمينُها من فنونِ
في الغديرِ الصَّافي ، وأُنشودة الطير ، وطيب الورود والياسَمينِ
غيرَ أني ما ازدَدْتُ إلاَّ حنيناً ‏ أسعديني بزَوْرةٍ أو عِديني

نظمت في ١٩٢٧ (ونشرت سنة ١٩٢٨)

حملتني نحو الحمى أشجاني

نَبّهتْني صوادحُ الأطيارِ
تتغنّى على ذُرى الأشجارِ
وتَجلّتْ مليكةُ الأنوارِ

فوق عرشِ الصَّباح ترشُفُ طَلًّا من ثُغورِ الأقاحِ غَلًّا ونهْلا
فتمنّيْتُ لو شقيقةُ روحي باكَرَتْني إلى جَنى الأزهار

* * *

أنا في روضةٍ أباحَتْ جَناها
كلُّ ذي صَبْوةٍ كئيبٍ أتاها
ها هُنا وردةٌ يفوحُ شَذاها

ها هنا نرجسٌ يُحَيِّي الأقاحا والدَّوالي تُعانقُ التُّفّاحا
بادِري نَسْتَبِقْ معاً وارِفَ الظّلِّ ونَقْضِ النّهارَ بعدَ النّهارِ

* * *

ضَحِكَ الرَّوْضُ حينَ فاضتْ عُيونُهْ
وترامى فوقَ الثّرى ياسَمينُهُ
هامَ صَفْصافُهُ فناحَتْ غُصونُهُ

فسَواءٌ هُيامُهُ وهُيَامي غيرَ أنّي أبكي على أيّامي
فَجَعَتْني بِكِ النّوى حين شبّتْ لَوْعَةٌ في الضّلوعِ ذاتُ أُوارِ

* * *

مَرَّ عامٌ أُخْفي عن النّاسِ ما بي
مِنْ حَنينٍ مُبَرِّحٍ وعذابِ
ولقدْ يَسْألونَ فيمَ اكتئابي

وَيْحهمْ كَيْفَ يُبصرون دموعي ثمَّ لا يُدركونَ ما بضلوعي
ولقد يكتمُ المحبُّ هواهُ فتبوحُ الدُّموعُ بالأسْرارِ

* * *

ذاكرٌ أنتَ عهدَنا يا غديرُ
يومَ كنّا والعيشُ غَضٌّ نضيرُ
وعلى ضفّتيْكَ كنّا نسيرُ

فروَيْتَ الحديثَ عنّا شُجونا وأخذنا عليكَ ألاَّ تخونا

فــأعِـدْ لي ذاك الحــديثَ فـإني   أذْهلتْني النّــوى عن التَــذْكــار

* * *

ذاكِــرٌ أنــتَ والأزاهــيرُ تَـنْــدَى
كم نَــظَمْنــا مِنْهنَّ للجيــدِ عِقْـدا
فــإذا هــبّت الـصَّبــا فــاح نَــدًّا

وانقضى اللّهْـوُ مُؤذنــاً بــالفـراقِ   فَذَوى العِقْدُ مِن طويلِ العنـاقِ
لْم يــزلْ خيْــطُهُ يلوحُ وجسمي   يَتَــوارى سُقْــماً عــن الأبْصــارِ

* * *

يــا ابْنةَ الأيْـكِ غَرِّدي أوْ فَنـوحي
فعسى يَــلأمُ الهَـديــلُ جــروحي
نَفَــدَ الصَّــبرُ عنْ شقيقَــةِ رُوحي

فــاحمـلي هــذه الـرِّســالـةَ عنّي   واسْجعي إن أتيتِهـا فوْق غُصنِ
فهْيَ عنـد الأصيـل تصغي إلى الـطيْرِ عسـاهــا تـروح بــالأخبـارِ

* * *

حَمَلَتْني نــحــو الحمــى أشجــاني

فتهيّبتُ من جلال المكانِ
وإذا فوق مقلتيَّ يدانِ

فتلمّستُ نضْرةً ونعيما وتعرَّفْتُ ما لَثَمْتُ قديما
قلتُ يا مرحباً ، وقبّلْتُ كفّاً أنزلتني ضيفاً بأكْرمِ دارِ

* * *

خَطَراتُ النّسيمِ في واديكِ
صَبّحتْني بقبلةٍ مِنْ فِيكِ
ثمَّ عادتْ بقبلةٍ تشفيكِ

فسلاماً يا « واديَ الرُّمّانِ »[1] فُزْتُ بالرَّوح منك والرَّيْحانِ
واحنيني إلى ديارِكَ والرُّمّانُ دانٍ يُظِلُّ أهلَ الدّيارِ

نشرت في ٢١ أيار ١٩٢٨

---

(١) وادي الرمان في « كفركنة » موطن . م . ص .

منديل حسناء

ما رونقُ الفجر والظلماءُ عاكفةٌ إذا تنفّس نــوراً في حنـايـاهــا
فهبَّت الطير تدعو الطير مـرسلةٍ من الأغاريد أحـلاها وأشجـاها
ولا الورود كأمثـال الخدود وقـد تفتَّحت في الرياض الفيح تغشاها
كـلا ولا قطراتُ الـطَلِّ كـامنـة في الأقحوان وأمُّ الشهد ترعاهـا
يوماً بأجملِ من ميٍّ إذا ابتسمت تحت النقاب ولاحت لي ثنايـاها
غـــداً تفـارقني ميّ وفي كبــدي شـــوق أُكـابـــده آهـــاً وأواهـــا

مساء ١٢ حزيران ١٩٢٨

حريق الشام

« إلى نديم »

لهفي على الشام وسكّانها لهفةَ ظامي الروح حرّانها
ما أحرقتها النار لكنما ضلوع مفتون بغزلانها
والحبّ إما أضرمت ناره تسمعه الدنيا بآذانها
نديم أخْبِرنْي فقد راعني تشبث النار بغيطانها
هل سرتِ النار الى (تينها) وتُوتِها الغضّ ورُمانها

٢٥ حزيران ١٩٢٨

تفاؤل وأمل(*)

كَفكِفْ دموعَكَ ، ليس ينفعُكَ البكاءُ ولا العويلُ
وانهضْ ولا تشكُ الزمانَ ، فما شكا إلَّا الكسولُ
واسلكْ بهمّتِكَ السّبيلَ ، ولا تقلْ كيف السبيلُ
ما ضلَّ ذو أملٍ سعى يوماً وحكمتُه الدَّليلُ
كلَّا ، ولا خابَ امرؤ يوماً ومقْصدُه نبيلُ

أفْنَيْتَ يا مسكينُ عمرَك بالتَّأوُّهِ والحزَنْ
وقعدتَ مكتوفَ اليديْن تقولُ : حاربني الزَّمنْ
ما لمْ تقمْ بالعبءِ أنتَ ، فمَنْ يقوم به إذن ؟

* * *

كم قلتَ : « أمراضُ البلاد » ؛ وأنتَ من أمراضها
والشؤْمُ عِلّتُها : فهلْ فتّشتَ عن أعْراضِها
يا مَنْ حَمَلْتَ الفأسَ تهدِمها على أنقاضِها
أقعدْ فما أنتَ الذي يَسْعى إلى إنهاضِها

(*) ألقيت في الحفلة التي أقامتها كلية النجاح الوطنية في نابلس في نهاية العام الدراسي (أيار ١٩٢٨) وكانت الروح الوطنية قد دخل عليها الكثير من الوهن والتشاؤم ، كما راج في أثناء ذلك سوق الدجالين من محترفي الوطنية الزائفة .

وانــظرْ بعينيْــك الــذئــابَ تَـعُبُّ في أحــواضـهــا

وطـنٌ يُـبــاع ويُـشــترى وتصيحُ : «فليحيَ الوطن» ؟!
لــو كنتَ تـبغي خَيْــرَهُ لبـذلتَ من دمِـك الثمن
ولقمتَ تَضْمِـدُ جـرحَــهُ لو كنتَ من أهلِ الفطن

* * *

أضحى التشـاؤمُ في حـديثـك بـالغــريـزَةِ والسّليقَــهْ
مِثْـل الغرابِ ، نَعى الـدّيـارَ وأسْمَـعَ الـدّنيـا نعيقَـهْ
تِلكَ الحقيقـةُ ، والمريضُ القلبِ تجـرحُـهُ الحقيقــهْ
أمَــلٌ يــلوحُ بــريـقُــه فَـاستَهْدِ يـا هـذا بَـريقَـهْ
ما ضاقَ عَيْشُـك لو سعيتَ لـه ، ولوْ لمْ تشْـكُ ضِيقَهْ

لكِنْ تَــوَهّمْتَ السّقــامَ ، فــأسقـمَ الــوهْمُ الـبــدنْ
وظنَنْتَ أنــكَ قَـدْ وَهَنْتَ فَـدَبَّ في العـظم الــوهنْ
والمــرءُ يُـرْهِبُــهُ الـرَّدى مــا دام يـنــظرُ للكـفـنْ

* * *

الله ثـم الله مــا أحْــلى الـتّـضــامُـنَ والــوفــاقــا !
بــوركْتَ مُؤتمَــراً تــألّـفَ لا نــزاعَ ولا شقــاقــا[1]

(١) عقد في تلك السنة مؤتمر « عربي عام » في القدس الشريف .

كَمْ مِنْ فؤادٍ راقَ فيه ، ولم يكنْ مِنْ قبلُ راقا
اليومَ يشربُ موطني كأسَ الهناءِ لكمْ دهاقا
لا تعبأوا بمشاغبين ترَوْنَ أوْجهَهم صِفاقا

لا بُدَّ من فِئة ـ أُجِلُّكُمُ ـ تَلَذُّ لها الفِتَنْ
تلك النفوسُ مِنَ الطُّفولةِ أُرْضِعَتْ ذاكَ اللبن
نَشأتْ على حُبِّ الخِصامِ ، وبات يَرْعاها الضَّغَنْ

* * *

لا تَحْفِلوا بالمرْجفينَ ، فإنَّ مَطْلَبهمْ حقيرُ
حُبُّ الظهورِ على ظهور الناسِ مَنْشَأُه الغرورُ
ما لمْ يكنْ فَضْلٌ يَزينُك فالظُّهورُ هو الفجورُ
سيروا بعينْ الله ، أنتمْ ذلكَ الأملُ الكبيرُ
سيروا فقدْ صَفَتِ الصُّدورُ ؛ تباركَتْ تلكَ الصُّدورُ
سيروا فَسُنَّتكُمْ لخيْرِ بلادكُمْ خَيْرُ السُّنَن
شدُّوا المودَّةَ والتآلفَ والتَّفاؤُلَ في قَرَنْ
لا خوْفَ إنْ قامَ البِناءُ على الفضيلةِ وارتكنْ

* * *

حيِّ الشبابَ وقُلْ سلاماً إنّكمْ أَمَلُ الغَدِ
صَحّتْ عزائمكُمْ على دفْعِ الأثيمِ المعتدي

والله مَـدَّ لـكـمْ يـداً تـعْلو عـلى أقـوى يـدِ
وطني أزُفُّ لـك الشّبـابَ كـأنّـهُ الـزَّهَـرُ النّـدي
لا بُـدَّ مـن ثـمـرٍ لـهُ يـوْمـاً وانْ لمْ يَـعْـقِـدِ

رَيْحـانُـه العلمُ الـصَّحـيـح وروحُـه الخلقُ الحسنْ
وطني ، وانَّ القـلبَ يـا وطـني بـحـبِّـكَ مُـرتَهَـنْ
لا يـطمئِنُّ ؛ فـإنْ ظَفِـرْتَ بمـا يُـريـدُ لـكَ اطمـأنْ

نشرت في ١٢ تموز ١٩٢٨

كيف عيناك يا عمر

إلى صديقه عمر فروخ وكان يشكو ألماً في عينيه

كيف عيناك يا عمر أنا أدماهما السهرْ
وعصيّ من الدموع طغى الهمُّ فانهمر
وخيالٌ ألمَّ بي من حبيبٍ لدى السحر
طاف حيناً بمضجعي وتوارى عن النظر
أتبعته جوانحي مهجتي عندما نَفر

* * *

أين ليلى على شواطئ بيروت يا عمر
كان من فرعها الظلامُ ومن وجهها القمر
وسميري مقبّلٌ طيّب اللثم والسمر
ومدامي وقد ظفرت بها نشوةُ الظفر

* * *

أين لهوي وشرّتي والزمانُ الذي غبر
حين لم أفتكر بهجر ولا الهاجر افتكر

أيـــن لا أيـــن والحـــيـــاة هـــي الـــلـمـــح بـــالـــبصر
هـــكـــذا يـــذهـــب السرور سريـــعـــاً إذا حضر

نابلس ، في ٣١ آب ١٩٢٨

(وفي بعض الأصول : ايلول ١٩٢٨)

حطّين

نظمها يوم عزم امير الشعراء المرحوم احمد شوقي بك على زيارة فلسطين وأخذ الأدباء يعدون العدة لإقامة مهرجان له . ولكن الزيارة لم تتم . وقد رمى ابراهيم من وراء هذه القصيدة الى إثارة أمير الشعراء لينظم شعراً في فلسطين وفي قضيتها .

أهْلاً بربِّ المهرجانِ أهْلاً بنابغةِ البيانِ
ملكِ القلوبِ المستقلِّ بعرشِها ، والصوْلجان
ومتوَّجٍ حالتْ أشعّةُ تاجِهِ دونَ العِيان
أهلاً (بشوقي) شاعرِ الفُصْحى ومعْجزةِ البيان
يا فَرقَدَ الشعراءِ كمْ من فرقدٍ لعُلاكَ ران
عَلَما الخلود مُنَشّرانِ على سريركَ يَخْفُقان
جبريلُ ينفخُ في فؤادكَ ما يفيضُ على اللِّسان
وأمدَّ بالنفحات روحَكَ حين طوَّف بالجنان
فإذا بأبكارِ الجنانِ لديْكَ أبْكارُ المعاني
يا باكيَ الفيحاءِ حينَ أبَتْ تُقيمُ على الهوان
أيامَ كانتْ وردةً بدمِ البواسِلِ كالدِّهان
أرْسَلْتَ عنْ (بَرَدى) سلامَكَ في لظى الحرب العوانِ[1]

(١) إشارة الى قصيدة شوقي التي مطلعها :
سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

وذرفتَ « دمعاً لا يُكفكفُ » هيّجتْه الغُوْطتان
البيتُ ممّا قُلْتَهُ فيهِ تخايلُ جنّتان
أبداً رثاؤكَ فيهما عينان دمعاً تجريان
هذا وإنَّ جناهما لَلْصَّعْبُ فاعجب وهو دان

* * *

عَرِّجْ على حطّينَ واخشعْ يُشْجِ قلبَكَ ما شجاني
وانظرْ هُنالِكَ هل ترى آثار (يوسف) في المكانِ
أيْقِظْ (صلاحَ الدّين) رَبَّ التّاجِ والسّيفِ اليماني
ومثيرَها شَعْواءَ أيُّوبيّةَ الخيْلِ الهِجان
بالعاديات لديْه ضبحاً والأسنّةُ في اللّبان
ترْمي بمارجِها وما غَبَرُ العجاجة من دخان
في كلِّ خطّارٍ على الأخطار صَبّارِ الجَنان
حَلَقاتُ أدرعِهمْ قيودُ الموْتِ في دَرَك الطعان
وسيوفُهم ماءُ الحميمِ على مضاربهنَّ آنِ
والخيلُ طَوْعُ كماتِها في النّقْعِ مُرْخاة العِنانِ
لا تنثني أوْ تحرزَ القَصَباتِ في يومِ الرّهان
حِطّينُ يومُك ليس يُنكرُ شاهديه الخافقان
تتطايرُ الأرواحُ فيه من السِّنان إلى السِّنان
وترى السُّهامَ مُقَوَّماتٍ فوْقَ أجسامٍ حَوانِ
فإذا أديمُ الأرض أحمرُ من دمِ الافرنج قانِ
يسْقَوْنَ من كأس الرَّدى ومليكُهم ظمآنُ عانِ

حتّى انجلى رَهَجُ الوغى والنّصْرُ مَرموقُ العنان
ومشى صلاحُ الدّين تحت لوائِهِ في مِهْرجان
وعلا الأذانُ ورَجّعَتْ تكبيرَةٌ شُرَفُ الأذان

* * *

أمقوِّضَ الدّولاتِ مَنْ لي مِنْ صُروفِك بالأمان
دُكّت صُروحٌ ما بنى أمْثالَها في المجدِ بانِ
جَلَّ المصابُ «أبا عليٍّ» فابْكِ هاتيكَ المغاني
ذهبَ الذين عهدتَهم لا يصبرون على الهوان
في مصرَ يطمعُ أشْعَبٌ وهنا تنادى أشْعبانِ[1]
وهنا التخاذلُ في الشّدائدِ والتّشاؤُمُ والتّواني
والنّفسُ يقتُلُ عزمَها طولُ التّعلُّلِ بالأماني

* * *

خذها اليك وأنت عنها يا أمير الشعر غانِ
حسناءَ فيها للصِّبا نزقٌ على خَفَرِ الحسانِ
نَفَحاتُها مِنْ «كرْمةٍ» تُعزى الى الحسن بنِ هاني
هَيْهاتَ تبلغُ شأوَكَ الشعراءُ يوماً أوْ تداني

نشرت في تشرين الأول ١٩٢٨

(١) إشارة الى الاستعمار والصهيونية في فلسطين .

حـــيرة[1]

وقد رآها مستلقية نائمة

ما كنتُ أرغبُ ان أُسمّى قاسياً فـأُنَفِّـرَ الأحــلام مــن عينيْهـا
والشـوقُ يدفعني إلــى إيقـاظها ويــدي تُحـاذرُ أن تُمَــدَّ اليْهـا
وكـأنما شَعَــرَ الـرقـادُ بنعمـةٍ فـأقـامَ غيـرَ مفـارقٍ جفنيْهـا
ويـلٌ لقلبي كيف لم يَفْتِـك بـه مـرأى تقلُّبِهـا علـى جنبـيْهـا
وتنهّــدتْ مما تكـنُّ ضلوعُـهـا يـا شوقُ ويحـكَ لا تَرُعْ نهديْها
حَسْبي جوىً أنّي نظرتُ لشعرها ينكبُّ مـرتشفاً نَـدى خــدَّيْها
وأغارُ منه اذا اطمأنَّ بها الكرى ويُثـيرُني متـوسِّـداً زَنْـدَيْهـا

* * *

أرنـو بهلفـة عــاشقٍ لم يبقَ من صبر لديَّ ، وقد حنوتُ عليْهـا
فيصــدُّني أدبي فـأبعــدُ هيبـةً وأودُّ لــو أجثـو عــلى قَـدَمَيْهـا
فـالنّفسُ بَـيْنَ تهيُّبٍ ممّـا تـرى وتلهُّبٍ ، فـاحْتـرتُ في أمـريْها
ولعـلَّ اشـواقي بَلَغْنَ بيَ المـدى فـوقعتُ لا أصحو عـلى شفتيْها

٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨

(١) قيلت في م. ص .

الحبيب الذاهل

على لسان (م . . .)

قم حبيبي وأطفىء المصباحا قد أباح الهوى لنا ما أباحا
حبّذا الاعتناق إن كانتْ الظلمةُ ستراً من دونه ووِشاحا
تَحْبِسُ العينَ عن ملذَّة مرآهُ ولكنْ تسرّحُ الأرواحا
قم حبيبي وأطفىء المصباحا

* * *

رقد الكونُ غير تلك العيونِ في السماوات ساهرات الجفونِ
لا تخفْها ؛ فلن تبوح بسرٍّ وسواها يُثيرُ سوءَ الظنونِ
وأراها أحنى وأوْفى من الأهل ، وكم بينَ أهلنا من خؤونِ
لا تخفْها ؛ وانظرْ لها باسماتٍ مبدياتٍ لنا وجوهاً وضاحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

* * *

كم سهرنا من قبل ليلاً طويلاً فشكا الصمتُ فيه منّا العويلا
وبغى البينُ أشهراً لا ليالي ما نقاسيه صبوةً ونحولا
فالتقيْنا ، إنَّ اللقاءَ قصيرٌ فانتهزْهُ وخلِّ عنك الذهولا
وَلْنودِّعْ تلك الهمومَ اللواتي يتوثَّبْنَ في الدجى أشباحا
قمْ حبيبي وأطفى المصباحا

* * *

هـل نسيتَ الأسفـار والأخطارا   يـا حبيبي وكيف جئنـا فـرارا
غفلةُ النـاس مـرةً نعمـةُ الحبّ ، ويـا ليتـهـا تكـون مـرارا
ويلك اسمـعْ قلبَ الـزمـان فقـد دقَّ ثـلاثـاً لا تُستـردّ قِصـارا
لـيَرَوعنّكَ الصبـاحُ إذا لاح قـريبـاً ، فـلا تقـلْ كيف لاحـا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

* * *

نظمت في ١٧ نوفمبر ١٩٢٨

لذة العيش(1)

لـذة العيش بسفـح الكـرمـلِ   ليلة الكــرمـل عــودي كـرَمــا
ليلة الكــرمـل عــودي واسـألي   عن محب كــاد يــودي سـقــما

* * *

ليلة الكـرمـل عـودي وانـظري   أيّ قلب قــطعتـه الــزفــراتْ
أيّ نفس زهقـت بعــدُ جــوًى   أي روحٍ قـد تلاشت حَسَرات
ليس لي غــير البكــا والسـهــر   وهمـا للدهـر عنــدي حسنـات

* * *

فـيهـــما ذكــرى الــلقــاء الأوّل   أرشف الأدمــع منهــا والــلمى
فصــلي الليــل بـليــل أطــول   يـا جفـوني واذرفي الـدمـع دمـا

* * *

(1) من قصائده في م. ص .

كنت أجني ثمراً حلو الجنى رب طير ... فوقه لم يقع
حوَّم الدهر عليه وانثنى يدعي من خيبة ما يدعي
هل درى يا ويحه أن المنى في الهوى لا تجتنى بالخدع

* * *

انما يدرك أقصى الأمل ثابت القلب على ما عزما
من يرم أمراً بقلب حوّلٍ ينقضِ الدهر له ما أبرما

٢ كانون الثاني ١٩٢٩

وحي رسالة[1]

رسـالـة واهاً لهـا واهـا شـرقت بـالـدمـع لفحـواهـا
مـن غـادة عـذبـني نـأيهـا مـا ضرَّ لـو كـنـتُ وإيّـاهـا
أضراسـهـا تـؤلمـهـا لـيـتـني أشكـو الـذي سبّب شكـواهـا
تلك ثنـايـاهـا التي نضـدت عقـدين والمكـسـور إحـداهـا
آثـارهـا في شـفـتي لم تـزل يـا ضـلَّ من يجهـل معنـاهـا
رشـفت منهـا سلسـلاً بـارداً صـادف نـيراني فـأطـفـاهـا
في لـيـلة لم أدرِ سـاعـاتهـا أضـعـت طـولاهـا وقصراهـا
حتى طغى الصبـح بـأنـواره عـلى نجـوم الليـل يغشـاهـا
ورجَّـع الـطـير أغـاريـده شجـواً فـأبكـاني وأبكـاهـا
فقلت يـا طير كـذا عـاجـلاً قمت عـلى اللذات تنعـاهـا
وقلت يـا طـير متى نلتقي يـا طير هل أحيى وألقـاهـا
ثـم تـعـانـقـنـا فلله مـا تـذرف عـينـاي وعـينـاهـا
قـبلتـهـا في فـمـهـا قـبـلة مـا كـان أزكـاهـا وأحـلاهـا
وقـبـلتـني مـثـلها قـبـلة مـا زلـت استـنشـق ريـاهـا
تلك هي الـزاد غـداةَ النـوى قـد يهلك العـاشق لـولاهـا
حبيبتي عـودي إلى ربـوة أضحى فؤادي رهن مـغنـاهـا
يـا منيتي عـودي نُعِـدْ ليلة مـا زال قـلبي يـتـمـنـاهـا
ذقت بهـا منـكِ ألـذ الهـوى فـكـيـف أنـسـاك وأنسـاهـا

٢١ كانون الثاني ١٩٢٩

---

(١) من قصائده في م. ص.

في دير قديس[1]

لم أَلْـقَ بَـيْنَ لـيـاليَّ الـتي سَـلَفَـتْ
كـلَيْـلةٍ بِـتُّـهـا في دَيْـر قـدِّيسِ
ضَـمَـمْـتُ حـسـنـاءَ لم يُخْـلَقْ لهـا مَـثَـلٌ
بَـيْنَ الحـسـانِ ولا حـورِ الـفـراديسِ
مـا عـرشُ بـلقـيس في إبّـان دولـتـهـا
ولا سـلـيـمـان مـزفـوفاً لـبـلقـيـسِ
يَـوْمـاً بـأعـظم مـنّـا في السَّريـر وقـد
دام الـعـنّـاقُ إلى قـرع الـنّـواقـيسِ

٢٤ كانون الثاني ١٩٢٩

(١) قالها في م. ص.

إلى ذات المنديل

نــزيهــة لـيس للمـنــديــل فيــما بـينـنــا حــاجــهْ
وإن سرَّكِ أن يــبــقـــى فـــأنـــوارك وهّـــاجــهْ
فـيــا مَــنْ تــأمــر الحـسـن فـيـلقــي دونها تــاجــهْ
لـقــد قــطّعــتِ بــالــدلِّ عــرى قــلبـي وأوْداجــهْ

٢٥ كانون الثاني ١٩٢٩

الى م . . .

خلّفتُ قلبي فوق سفح (الكرملِ) حيرانَ يسألُ عنك أهلَ المنـزلِ
خلّفتـه يهفو عـلى غُرَفِ الهـوى في شكــل طــير بينهم متنقّــلِ
لم يعلمـوا مـا سِرّه، فـإذا بكى حسبـوه يضحك للربيـع المقبلِ

٥ شباط ١٩٢٩

الزهرتان والشاعر

يـا زهـرةَ الـوادي أتيتُ بـزهـرة   لك من ربى لبنان فـاح شذاهـا

والـزهـر أبهى منـظراً مـع أمـه   فنقلتهـا معهـا فـزاد بهـاهـا

وحفظتها لك في الطريق من الأذى   ولأجـل عينكِ أضلعي مثـواهـا

وجمـعت في آذارَ بـينـكـما فـما   أحـلاك في قلبي ومـا أحـلاهـا

إني جمـعتـكـما ولكـن لم يـطلْ   أُنسي بقـربكـما فـواهـاً واهـا

واهـاً عـلى سـاعـات لهـوٍ كنتـما   يـا زهـرتيَّ هنـاءَهـا وصفـاهـا

واهـاً عـلى روحي التي خلَّفتهـا   بين الربى ؛ والروح حيث هواها

واهــاً عليهـا مهجـةً ضيعتهـا   فـاذا سـألتكـما فهـل ألقـاهـا ؟

٢ نيسان ١٩٢٩

وداعــاً(١)

وداعــاً سـأقتـل هـذا الهـوى   وأدفنـه في ضلوع السنين
أردُّ رسائلك الباكيات   فردّي رسائل قلبي الحزين
ولكن تعالَيْ . . . ألم تغدري ؟!

* * *

وداعــاً سـأسحق تلك المنى   وأنسفها بدداً في الفضا
سأهزأ بالعشق والعاشقين   وأذهب مستهتراً بالقضا
ولكن تعالَيْ . . ألم تغدري ؟!

* * *

وداعــاً وهيهات أن نلتقي   فما أنا بعدُ المحب الحبيب
أطيعي ذويك بما يشتهون   فإن لهمْ فوق حق الغريب . . .
ولكن تعالَيْ . . . ألم تغدري ؟!

١٥ مايس ١٩٢٩

---

(١) إحدى قصائده في م. ص.

اغفري لي . .

الى م. ص.

اغفـري لي اذا اتهمتك بـالغـدر　فقـد كنت غـائبـاً عن صـوابي
اغفـري لي ، لعل مـا كان مني　صرخة الهول عند مرأى عـذابي
وصدى اليأس رجّعتـه ضلوعي　أو بكـائي عـلى أمـاني الشبـاب
لم تكــوني كـما زعمتُ ، ولكنْ　هـالني مـا قــرأتُـه في الكتــاب
ولعمــري رأيـتُ منــك وفــاءً　لم يـكــن فــيــه ذرّة لارتـيــابي
اغفـري لي مـا قلتـه في جنـوني　وتعــالي أشـرحْ اليــك مصـابي

* * *

رُبَّ صــرحٍ ممــرَّدٍ من أمــانيٍّ　أظَــلَّ النجـوم تحت جنــاحِــهْ
قـد نَمَتْ حـولــه الأزاهـيرُ شتّى　وسقـاهـا الهـوى عـلالـةَ راحِـهْ
فـنــزلـنــاه آمــنـيــن زمــانــاً　نـجـتـني مـن وروده وأقــاحِــهْ
لم تُحـرِّكْ منه العــواصف ركنـاً　ولكم خـاب مثلهـا في كفـاحِـهْ

ثم كـانتْ يَدٌ ، سـأسكتُ عنها　هــدَّمتــهُ إلى ســواء الــترابِ
أين تلك السماء ؟ هل كان ذاك الصرح فيها مشيّداً من سحابِ ؟

* * *

إغفري لي فإن أشقى المحبّين محبٌّ حياته ذكرياتُ
أينما كنتُ هيّج القلب ذكرى صوّرتها آثارُنا الباقياتُ
ما هنا ؟ إنها رسومُ دموع ، وهنا ؟ آه إنها قبلاتُ
وهنا ؟ طائرٌ يُعيد حديثاً لم تغبْ عنه هذه الكلمات :

يا حياتي ، لا تغضبي ، وتعالي عانقيني وأقصري من عتابي
حسب قلبي عذابه ، فاغفري لي يا حياتي فقد لقيت عقابي

٢ حزيران ١٩٢٩

إلى بائعي البلاد

باعوا البلاد الى أعدائهم طمعاً بالمال لكنما أوطانهم باعوا. . .
قد يُعذرون لو انَّ الجوعَ أرغمهم والله ما عطشوا يوماً ولا جاعوا
وبُلْغَةُ العارِ عند الجوع تلفِظُها نفسٌ لها عن قبولِ العار ردَّاعُ
تلك البلادُ إذا قلتَ: اسمُها «وطنٌ» لا يفهمون ، ودون الفَهْم أطماع

* * *

أعداؤنا ، منذ أنْ كانوا ، (صيارفةٌ) ونحن ، منذ هبطنا الأرض ، زرّاع
لَمْ تعكسوا آيةَ الخلاَّقِ ، بل رجعت الى اليهود بكم قربى وأطباعُ
يا بائعَ الأرضِ لم تحفِلْ بعاقبةٍ ولا تعلّمْتَ أنَّ الخصمَ خدّاعُ
لقد جنيتَ على الأحفاد ، والهفي وهم عبيدٌ ، وخُدَّامُ ، وأتباعُ !
وغرَّك الذَّهبُ اللمّاعُ تُحْرِزُهُ إنَّ السّرابَ كما تدريه لمّاعُ
فكِّرْ بموتكَ في أرضٍ نشأتَ بها واترك لقبرك أرضاً طولها باعُ[١]

نشرت في ٢٥ آب ١٩٢٩

---

(١) أخذ هذا المعنى الشيخ فؤاد الخطيب في رثائه لموسى كاظم باشا الحسيني (٤ - ٥ - ١٩٣٤) فقال :

وجدتم لكم أرضاً بها تدفنونه فهل عندكم أرض لأمواتكم غدا

وكرر ابراهيم هذا المعنى في رثائه للملك فيصل .

خطرة في الهوى[1]

أعيدي الى المضنى وإنْ بَعُدَ المدى   بُلَهْنِيَةَ العيشِ الذي كان أرْغدا
تبارك هذا الوجهُ ما أوْضَحَ السَّنا   ومـا أطـيبَ المـفْـتَرَّ والمتـورّدا
فقدتكِ فِقْدانَ الصِّبا وهل امرؤٌ   تـولّى صِباه اليـومَ يرجعـه غـدا
فقـدتـك لكنّي فقـدتُ ثـلاثـةً   سواك : فؤادي ، والأمانيَّ والهدى
وأبقيتِ لي غـيرَ القنوط ثـلاثةً :   هواك ، وسقمي ، والحنينَ المؤبّدا

* * *

أيا (وادي الرمان)! لا طِبْتَ وادياً   اذا هي لم تنعم بـظلِّك سرمـدا
ويا (وادي الرمان)! لا ساغ طعمُهُ   اذا انـا لم أمْدُدْ لـذاك الجنى يدا
ويا (وادي الرمان)! واهاً!! وعندهم   حـرامٌ على المحـزون أنْ يتنهدا
كـأنيَ لم انـزلْ ديـارَكَ مـرةً   ولم ألْقَ في اهليك حباً ولا ندى
ولم تَسْقني كـأسَ المـدام حبيبـةٌ   وردتُ ثناياها مع الكأسِ موردا
ولم تُوحِ لي شعراً ولا قمتُ منشداً   ولم يَرْوِ شعري عندليبُكَ منشـدا

* * *

(١) في عام ١٩٢٩ تخرج ابراهيم في الجامعة الاميركية ببيروت ، وقلبه ما يزال ممتلئاً بـ... م. ص ، وسافر الى القاهرة للاستشفاء وللقاء أخيه أحمد الذي كـان عائـ[illegible] اوكسفورد ، وقد نظم هذه القصيدة بعد رجوعه من مصر .

أخي وحبيبي كنتُ أرجوك مسعداً   يسامحُك الرَّحمن لم تَكُ مسعدا[1]

ألم تـرني في مصر أطلبُ شافيـاً   وراعك إشفائي على هوَّة الرَّدى

ألم ترني في مضجعي متقـلِّبـاً   أُقَلِّبُ في الافـلاكِ طرفـاً مُسَهَّدا

ومن عجبٍ أنّا شبيهان في الهوى   بِمَنْ أنت تهوى، هل أطقْتَ تجلُّدا؟

آب ١٩٢٩ (ونشرت في ١١ ايلول ١٩٢٩)

(١) عتـاب الى أخيه (أحمـد) وكان ذلـك يوم قـدوم ابراهيم الى القـاهرة للمعـالجـة والاستشفاء في شهر آب ١٩٢٩ .

رد على رئوبين شاعر اليهود

نشرت الجريدة اليهودية (دوار هـايوم) قصيـدة لشاعر اليهود رئوبين ، نقلتها الى العربية جريدة فلسطين . وعنوان القصيدة « أنشودة النصر » ، أتى فيها الشاعر على الحوادث الأخيرة في فلسطين مشيداً بذكر اليهود وشجـاعتهم . . . في الطعن والضرب زاريـاً عـلى العـرب (أبنـاء هـاجـر واسماعيل . . !) خوفهم ووحشيتهم وهزيمتهم ! زاعماً تارة أنهم عزل مظلومون وان العرب عـلى تسليح الانكليز لهم كانوا لصوصاً وقـطاع طرق وأهل خيانة وغدر يعتدون على الأطفال والشيوخ والنسـاء . وقد نـظمت هذه القصيـدة رداً عـلى أنشودة النصر غير معترض كثيراً إلى الحوادث بقدر اعتراضي إلى تاريخ اليهود وتوراتهم وما عرفوا به من قبل ، وما هم عليه اليوم من الادعاء الباطل والغدر ونكران الجميل مما يناقض كل مـا ادعاه الشاعر رئـوبين ومـا وصف به قـومه من المـزايا والاخلاق .

هـاجـر امـنـا ولـود رؤوم ... لا حسود ولا عجوز عقيم . . .
هـاجر امنـا ومنهـا ابـو العر ... ب ومنهـا ذاك النبي الكـريم
نـسب لم يـضـع ولا مـزقتـه ... بـابـل أيهـا اللقيط اللئيم
ودم في عـروقـنـا لم يُـرقـه ... سـوط فرعـون والعـذاب الأليم

يعلم الدهر ايّ اهرام مصرٍ ذلّكم في صخوره مرقوم
فهرم خالد يغشّيه ظل من عبودية لكم لا تريم
ايْ رئوبين غطٍّ وجهك حتى لا يُرى الأنف أنه مهشوم

*

يا يهوديُّ كيف علمك بالتو راة ، قل لي ، أم فاتك التعليم
بين أسفارها خلائق عنكم مبتداها ومنتهاها ذميم
يوسف باعه أبوكم يهوذا إنَّ حب الدينار فيكم قديم
وكفرتم بنعمة الله حتى ضاق ذرعاً بالكفر موسى الكليم
يشهد (التيه) أنكم شعب إسرا ئيلَ شعبٌ منذ الخروج أثيم
يشهد (العجل) أن ألواح موسى يوم زغتم أصابها التحطيم
وبطون التاريخ فيها عجيب وغريب بعاركم موسوم

*

أي رئوبين أين ألواح موسى والوصايا فكلهن قويم
هن عشر نبذتموها جميعاً ورتعتم في الغي وهو وخيم[1]
ونقضتم أحكامها فاذا الما ل مقام الاله فيكم يقوم
والربا ربكم له صنم الحر ص مثالٌ أنتم عليه جثوم
واذا السبت فيه مكر وغدر أين فيه التقديس والتعظيم

---

(١) نواقض الوصايا العشر .

وعكستم آيـاتهـا فـاذا الـقتـ ـل مبـاح والفسقُ فيكم عميم
فـجهلتـم آبـاءكـم فغـدوتـم واحـترام الآبـاء فيكم عـديم
وهضمتم حق الجوار وصحتم : « أيها الناس حقنا مهضوم » . . .
كلكم شـاهـد عـلى الحق زوراً هل أتاكم من شأنه تحـريم ؟!
حسبكم لا يبـارك الله فيكم إن شيـطان بغيكـم لـرَجيـم
فلو انَّ النجـوم أمست رجـومـاً مـا عدتكم والله تلك الـرجـوم
أي رئـوبـين أي شعب تنـادي إن ربّـاً أبـاده لحـكـيـم

*

أي رئوبين هل قرأت شكسبير ؟ بـلى ، أنـت شـاعـر مشـؤوم
وشكسبـير خـالـد القـول فيكم أمر (شيلوخ) في الورى معلوم[1]
غـير أن الـذين منهم شكسبـير تنـاسـوا مـا قـال ذاك العـظيم

*

يـا يهـوديّ هـل سمعتَ بشعب ضـلَّ حتى في كـل قـطرٍ يهيم
شعبكم كالذبـاب في كل أرض منـه شيء عـلى القـذور يحـوم
وعـجيـب من الـعجـائـب أن يـطلب حـكـماً ودهـرَه محـكـوم
وغـريـب من الـغـرائب أن يجـمـع شـمـلاً شـتـاتـه محـتـوم
غَضَبُ الله مـا يـزال عـليكـم وعـد بـلفـورَ دونـه مـهـزوم

---

(١) تاجر البندقية لشكسبير .

نــادِ ابـطالــك الـذين تــواروا   في الـشبــابيــك إنهم لقــروم
يـرقبـون الأطفـال منـا فــإن لا   حـوا رمـوهـم ، فهـالـك وكليم
في يديهم سلاح قـوم . . . عليه   (أسَــدٌ) في حــديــده مختــوم
نـادِهم يقذفـوا القنابـل واصرخ   « شعب صهيون أعزل مظلوم »
والعن الانكليـز واحمـل ظبـاهم   إن نـكــران فضـلهم لجـسـيـم

*

لبن الارض فـاض سـماً زعـافـاً   ودمـاً ، فـانـزلـوا بهـا وأقيمـوا
واشربوه ملء البـطون هنيئاً . .   هكــذا تشرب الـذئـاب الهيم
يـا يهـودي لا عليــك ســلامٌ   واذا شئـت لا عـليـك شــلوم

۱٤ أيلول ۱۹۲۹

رمان كفركنّا

جــزتُ بـالحيِّ في العشيِّ فهبّتْ نفحــةٌ أنـعشـتْ فؤادي المُـعَنىًّ
قلت : مِنْها ، ودُرْتُ أنظرُ حوْلي نــظراتِ الملهـوفِ يُسرى ويمنى
وإذا طـيِّـبٌ جَــنيٌّ من الــرُّمّـ ـان مثـل النُّهـودِ لــو هي تُجنى
وافقتْ نـظرتي نـداءَ غــلامٍ : (ناصري يا رمان!) من (كفَرْكَنّا)
قلتُ أسـرعْ به فـدىً لَكَ مـالي وتـرنّــمْ بــذكــره وتــغــنَّ
يا رسولَ الحبيبِ من حيثُ لم تد رِ لــقــد جئْــتـني بمــا أتمــنىً

١٨ أيلول ١٩٢٩ (ونشرت في الجامعة الاسلامية في ٥ - ٤ - ١٩٣٣)

البلد الكئيب

بمناسبة إضراب فلسطين يوم وعد بلفور

يا أيها البلد الكئيبُ حياك منهمر سكوبُ
لا تبتئس بالظلم «إن غداً لناظره قريب»
وغدٌ عصيبٌ لا يسرّ الظالمين ؛ غدٌ عصيب
أشرق بوجهك ضاحكاً ولشمس شانئك الغروب
ما بعد غمّك غير يوم تطمئن به القلوب

* * *

لهفي على البلد الكئيب تعطلت أسواقُهُ
عارٍ كما اعرورى الخريف تساقطت أوراقه
خفقت جوانحه أسىً وتقرّحت آماقه
صبراً فإن الصبر قد يحلو بفيك مذاقه
هذا عدوّك ، لا يرعك وهذه أخلاقه

* * *

بلفور كأسك من دم الشهداء لا ماء العنَبْ

لا يخدعنّك أنها راقت وكللها الحبب
فحبابها الارواح قد وثبت اليك كما وثب
فانظر لوجهك إنه في الكأس لوّحه الغضب
وانظر ، عميت ، فانه من صرخة الحق التهب

* * *

بلفور يومك في السماء ، عليك صاعقة السماءِ
ما أنت إلا الذئب قد صوّرت من طين الشقاء
والذئب وحشٌ لم يزل يضرى برائحة الدماء
إخسأ بوعدك ، إن وعدك دونه رب القضاء
وإلى جهنم أنتما حطب لها طول البقاء

*

إخسأ بوعدك لن يضير الوعد شعباً هبَّ ناهضْ
لا تنقض الوعد الذي أبرمته فله نواقض
ويل لوعد الشيخ من عزمات آساد روابض
أتضيع يا وطني وها عرق العروبة فيَّ نابض
فلأذهبن فداءَ قومي في غمار الموت خائض

* * *

بشراك يا وطني فقد نُفض الرقاد عن البلادِ
نهضت بواسل فيك تقذف بالنفوس الى الجهاد
شقوا الطريق الى العلا وخطوا على نهج السداد
ولَسَوف تنطق في سبيل الحق ألسنة الجماد
والويل يا وطني لمن أضحى يصرّ على العناد

* * *

بشراك يا وطني فقد نهضت بك الغيد الاوانس
حيّت جموعَ الغانيات عيونُ نرجسك النواعس
أقبلن من باب الخليل يمسن في سود الملابس
وصرخن في وجه العميد وحقهن لهن حارس
وطني ، ظفرت إذا النساء هتفن باسمك في المجالس

* * *

وطني ، علينا العهد جمعاً أن نسير الى الامام
ونعيش إخواناً على محض المودّة والوئام
ونردُّ عنك النازلات مسابقين الى الحمام
ونكون في إعلاء شأنك عاملين على الدوام
حتى تُرى متفيئاً ظلَّ الكرامة والسلام

٢ تشرين الثاني ١٩٢٩

عَنَتُ الدهر

يـوم كنا نقـول : « عاكسنـا الد هر » وجدنا من صحبنا مَنْ يلوم
فيقــولـون : « اتّقِ الله واقنــع كم تـظلّمت طـامعــاً يـا ظلومُ
هـذه (نـزهــة) وأنت تـراهــا كل يومٍ ، فما عساك تـرومُ ؟ »
ويحهم لـو يـرون مــا صنـع الــدهـر لقــالـوا : معــذب مشؤوم
كنت ارجو لو ان نزهة أضحت في مكــان قـد كنت فيــه أُقيم
لم يكن مـا رجوتُ حتى تـرحّلْـ ـتُ ؛ فَمَنْ ظـالم ومَنْ مظلومُ ؟

٢٨ نوفمبر ١٩٢٩

أين الرسالات ؟

إلى ل . . .

أين الـرسالاتُ والشـوقُ ؟ فـاالجـواب تـأخّـرْ
كم قلتِ: «شـوقي كثيرٌ» أظـنُّ شـوقـي أكـثـرْ
أُسـائـلِ البـدرَ حـيران عـنـك إن هـو أسفـر
ذكـرتُ وجـهـك فيـه والشيء بـالشيء يُـذكـرْ
كـوني بـودّك كـالـبـدر فـهـو يخـفى ويـظهـر

٢٨ نوفمبر ١٩٢٩

خلِّ الشقيّ بحاله

إلى م . . .

إلى الحـبـيـب الـذي فـاز غـيـرنُـا بـوصـالِـهْ
ولم نـفـزْ مـنـه إلاَّ بـصـدِّه ودلالِـهْ
ومَـنْ تـعـلَّمَ منـه الـصـدودَ طـيـفُ خـيـالِـهْ
هـلاَّ تجـرِّب شـيئـاً من الهـوى واحتمـالِـهْ
عسـاك تعرف مـا قـد عـرفتُ من أهـوالِـهْ
عسـاك تسـهـد ، أفـديـك ، ليلة من طـوالِـهْ
لـكنْ أراك سـعـيـداً خـلِّ الـشقـيَّ بحـالِـهْ

٢٨ نوفمبر ١٩٢٩

رثاء نافع العبّوشي

لهفي على (نافع) لو كان ينفعهُ
لهفي .. وهيهات ما في الموت نفّاعُ
قد شيّعوه الى قبر يحفّ به
مِن المهابة أتباعٌ وأشياعُ
حوتْه أوطانُه في جوفها فغدا
كأنما هي قلب وهي أضلاعُ
يا موطناً في ثراه غاب سادته
لو كان يخجل من باعوك ما باعوا

نوفمبر ١٩٢٩

فرحتي . . !

فـرحـتـي يـوم أراهـا جـنّـتي نـارُ هـواهـا
جـنّـة الحـسـن لـديْهـا طـيبُـهـا وْقـفٌ عـليْـهـا
وردُهـا فـي وجـنـتـيْـهـا ثَـمِلٌ من مـقـلتـيْـهـا
هي ريحانة قلبي
ليتها كانت بقربي
فـرحـتـي يـوم أراهـا جـنّـتـي نـارُ هـواهـا
ونعيمي في شقائي

*

كـان لي في الحـبِّ عـهـدُ رُبَّ مـاضٍ لا يُـردّ
فـالـتـقـى خـدٌّ وخـدٌّ والـتـقـى دمـعٌ وشـهـدُ
جفَّ ، يا أيّام ، دمعي
ضاق بالآلام ذرعي
فـرحـتـي يـوم أراهـا جـنّـتـي نـارُ هـواهـا
ونعيمي في شقائي

*

بلبلٌ فوق الغصون ساحرٌ جَمُّ الفنونِ
يا أخا الصوت الجنونِ لستَ تدري ما شجوني
تتسلّى ، تَتَفَلّى
وتراني ، أتَقَلّى
فرحتي يوم أراها جنّتي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

سمع البلبلُ شجوي باكياً أيّامِ لَهْوي
فهفا البلبلُ نحوي هاتفاً: أصغِ لشدوي
قلتُ يا بلبل دعْني
عُدْ الى الدَّوحِ وغنِّ
فرحتي يوم أراها جنّتي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

*

نُحْ معي فالنوْحُ أوْلى بَعْدَ مَنْ أهوى وأحلى
طَرِبَ القلبُ وملاًّ أيُّها البلبلُ هَلاّ
بجناحيكَ انقلبتا
وبمن أهوى رجعتا
فرحتي يوم أراها جنّتي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

*

الهوى أبلى شبابي جاءَني من كلِّ بابِ
مِن صدودٍ لعتابِ من عذابٍ لعذابِ
كلُّ هذا لا يُطاقُ
ثمَّ لا يحلو الفراقُ
فرحتي يوم أراها جنّتي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

عيشُنا ركضٌ بركضِ بعضُنا في إثْر بعضِ
والصِّبا يومٌ ويمضي ليتَه يمضي ويُرْضي
يا فؤادي ما بكائي ؟
أترى يُجدي ندائي
فرحتي يوم أراها جنّتي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

شباط ١٩٣٠

ذكــرى(*)

جئتَ تتلو علـيَّ صفحة مـاضٍ متنها الحبّ والأسى بين صحفي
صاحِ دعْها ؛ وخذ سواها فإني قـد تـبيّـنتُـهـا لأول حـرفِ
صـاحِ دعْهـا ؛ فقـد دفنتُ أمـانيَّ ولهـوي يـا حسرتـاه وقصفي
وخلتْ أضلعي فـأمسى خليّـاً غزلي في هوى الحسـان ووصفي
وليـالٍ ظفـرتُ فيهـا من الـدهـر ـ عـلى بخله ـ بنعمـة عـطفِ
سـاهِـرٌ في ظـلامـهـا أقبس الـنـورَ لقـلبي بـلثم خــدٍّ وكـفٍّ
وفـمٍ كـلما شــكـا ألمَ الـوجـد تَـعَـلّقْـتُـهُ بـقـطفٍ ورشـف
وجفـونٍ ما بـين قتـلٍ بعنفٍ أنـا منهـا وبـين قتـلٍ بلطف
صاحِ يكفي ! فقد تـولّتْ ليالٍ شيّعتهـا المنى بـربّـك يكـفي

٢٠ آذار ١٩٣٠

(*) بمناسبة رسالة أتاه بها صديق من أصدقائه .

التفاتــة

تـلفت قـلبـي إلى الـكـرمـلِ وحـنَّ إلى عـهـده الأوَّلِ
ومـرَّت بـه ذكـريـات الهـوى رواجـعَ مـن ذلـك المنـزل
تلفتْ كـما شئـت واخفـق لـه سـحـائبُ همـك لا تـنـجـلي

٢٤ آذار ١٩٣٠

موسم ألنبي موسى

أيها الموسم هل أنت سوى صورة المجد الذي كان لنا
قد مشى الدهر عليه وطوى صحفاً كنّ سناءً وسنا

* * *

أيها الموسم هل بين الجموع غير ترداد صدى النصر المبين
أصلاح الدين حيّ في الربوع أم سيوف الفتح فيها ينجلين
أين قوم جهلوا معنى الخنوع ؟ ذهب الآباء ، تعساً للبنين

حلّق المجد بهم ثم هوى وانثنى ينشدهم لما انثنى
أيها الموسم هل أنت سوى صورة المجد الذي كان لنا

* * *

يا شواظ الحرب ترمي بشرر يترك الآفاق في لون الدم
يا لظى حطين نشوى بالظفر يا صلاح الدين اخلد وانعم
لك في التاريخ أيام غرر كتبت بالسيف لا بالقلم

فـرواهـا الـدهـر فيـها قـد روى   فــاسمعــوهـا واجعلوهـا سننـا
أيهـا المـوسم هــل أنت سـوى   صـورة المجـد الـذي كـان لنـا

١٥ نيسان ١٩٣٠

يوم الثلاثاء

حسبتُ أنَّ الشبابا ولّى حميداً وغابا
وما ظننتُ فؤادي إلاَّ اهتدى وأنابا
هيهاتَ لم يُرضِ قلبي من الهوى ما أصابا
يا نظرةً لم أُرِدْها ساقت إليَّ عذابا

لم أدرِ أن الزوايا يا قلب فيها خبايا ..
رددتَ ماضي عهودي عليَّ، فاحمل هوايا

*

حسبتُ أنَّ دموعي جفّت وأقْوَتْ ربوعي
وخلتُ نارَ فؤادي خبتْ وراءَ ضلوعي
فأين وجدي وسهدي وصبوتي وولوعي ؟!
وكان يوم الثلاثا شهدتُ فيه العجابا

اليوم يوم الصبايا ففي الزوايا خبايا ..

*

لاحتْ وجوهٌ ملاحٌ خلفَ الحجابِ صِباحُ
لكنْ بخلْنَ ولمّا بخلْنَ هَبّتْ رياحُ
هذا نقابٌ، وهذا شعرٌ، وهذا وشاحُ..
فانصبَّ نورٌ وطيبٌ على القلوب انصبابا

كم للجمال مزايا وكم له من سجايا
لولاك يا ريحُ كانت بين الزوايا خبايا..

٢٢ نيسان ١٩٣٠

حلفت ألاّ تكلميني

حلفتِ ألاَّ تكلميني   وسوء حظي قبل اليمين
إن ترحميني تعذبيني   او تظلميني لا تنصفيني

*

يا من هواها أجرى دموعي   وأشعل النار في ضلوعي
لما تيقَّنْتِ من خضوعي   حلفت ألاّ تكلميني

*

عرفت وجدي وطول سهدي   وكيف أرعى في الحب عهدي
الله حسبي ، أَبَعْدَ ودي   حلفت ألاَّ تكلميني

*

حملتُ في القلب منك غما   أذاب جسمي لحماً وعظما
وكنتِ أقسى عليَّ لمّا   حلفت ألاَّ تكلميني

*

هــذا فــؤادي لــديــك رهــن   ذهــلــت عــنــه فــيــها أظــن
غــداً أُنــادي إذا أحــن :   « حــلفــتِ ألاّ تكــلمــيــنــي »

٢٥ نيسان ١٩٣٠

الفدائـــي

عينت الحكومة المنتدبة يهودياً بريطاني الجنسية لوظيفة النائب العام في فلسطين . فأمعن في النكاية والكيد للعرب بالقوانين التعسفية الجائرة التي كان (يطبخها) . ولما ثقلت على العرب وطأته ، كمن له أحد الشبان المتحمسين في مداخل دار الحكومة في القدس وأطلق النار عليه فجرحه .

لا تَسلْ عن سلامتهْ روحه فوق راحتِهْ
بذُلَتهُ همومُهُ كفناً من وسادتِهْ
يَرقبُ الساعةَ التي بعدَها هولُ ساعتِهْ
شاغلٌ فكرَ مَنْ يراهُ بإطراقِ هامتِهْ
بَيْنَ جنْبيهِ خافقٌ يتلظّى بغايتِهْ
من رأى فَحْمَةَ الدُّجى أُضْرِمَت من شرارتِهْ
حَمَّلَتْهُ جهنّمٌ طَرَفاً مِن رسالتِهْ

هو بالباب واقفٌ والرَّدى منهُ خائفُ
فاهدأي يا عواصفُ خجلاً من جراءتِه

*

صامتٌ لوْ تكلّما لَفَظَ النّارَ والدِّما
قُلْ لمن عاب صمتَهُ خُلِقَ الحزمُ أبكما
وأخو الحزم لم تزلْ يدُهُ تَسْبِقُ الفما
لا تلوموه، قد رأى مَنْهجَ الحقِّ مُظلما
وبلاداً أحبّها ركنُها قد تهدَّما
وخصوماً ببغْيِهِمْ ضجّت الأرضُ والسما
مرَّ حينٌ، فكاد يقتلُهُ اليأسُ، إنما..

هو بالباب واقفٌ والرَّدى منه خائفُ
فاهدأي يا عواصفُ خجلاً مِن جراءتِهْ

٩ حزيران ١٩٣٠

مناجاة وردة(١)

جنى عليـكِ الحسنُ يـا وردتي وطيبُ ريّاكِ فـذقتِ العـذابْ
لـولاهمـا لم تُـقـطفي غَـضَّـةً بل لانطوى في الروض عنك الشباب
لولاهما مرَّ بكِ العاشقونْ
لا ينظرونْ

وربمـا أعـرضَ عنـكِ النـدى وجـازكِ الـطيرُ فـما غـرَّدا
عُـرفتِ بالفضـلِ وكم فاضـلٍ جنى عليـه الفضـلُ يـا وردتي

روضـتُـكِ الغنّـاءُ يـا وردتي قـد أنبتت من كل زوجٍ بهيـجْ
تـنفَّسَ الـصُّبـحُ بـأزهـارهـا عن ضاحكِ اللّون زكيّ الأريجْ
نَسرينُها ، ورندُها ، والأقاحْ
كـلٌّ مُباحْ

(١) استوحاها من ذكرى حبه ـ (م . ص) ، إذ أن حبه لها جلب اليها الأنظار ـ كما يقول ـ فلم تلبث أن فاز بها أحد المعجبين ؛ وتأثر في موضوعها بما لقيه أخوه أحمد عند توظيفه مدرساً في القدس ، فقد كان ابراهيم يشعر ان تفوق أخيه هو الذي جعله ينال دون حقه ، ولولا هذا التفوق لنال معاملة أحسن ، لأن الرجل العادي لا يخشى رؤساؤه جانبه .

تَنْقلُ عنها نَسَماتُ الصَّبا   تحيةً لكلِّ قلبٍ صَبا
وطوَّفَ الناسُ بأرجائها   فوقّفوا عندكِ يا وردتي
لله ما أصدقَها حِكْمةً   فاهَ بها (المجهولُ في عهده)[1]
« تشتاقُ أيارَ نفوسُ الورى   وإنّما الشوقُ الى وردِهِ »

تعزيةٌ أودعَ فيها الضّريرْ
حُكْمَ البصيرْ

ألم يكنْ في قومِهِ كوكبا   لاحَ ليمحو نورُه الغيهبا
فما لهم آلمَهُمْ فضلُهُ   حتى لقد آذَوْه يا وردتي
تحكُّمُ النّاس بمستضعَفٍ   سرٌّ من الأسرار لا يُدركُ
يا وردتي وربَّ سَهْلٍ بدا   طريقُهُ يُهلِك مَنْ يسلُكُ

هلْ حسبوا غصنَك لمّا دنا
سهلَ الجنى ؟

كلَّا ؛ بل النّفسُ التي تَضْعُفُ   تصطنعُ البأسَ فلا تعرفُ
والسرُّ في بطشِ الورى خوفُهمْ   مِنْ هذِهِ الأشواكِ يا وردتي

نشرت في ١٦ حزيران ١٩٣٠

---

(١) الاشارة الى ابي العلاء المعري .

الثلاثاء الحمراء(*)

مقدّمـــة

لَّما تَعَرَّضَ نَجْمُـك المنحـوسُ وترنّحت بِعُرى الجِبـالِ رؤوسُ
نـاح الأذانُ وأعـولَ النـاقـوسُ فـالليل أكـدرُ ، والنَّهارُ عَبـوسُ
طَفِقَتْ تثـورُ عــواصفُ وعواطفُ
والمـوتُ حينـاً طـائـفُ أو خاطفُ
والمِعْـولُ الأبديُّ يُمْعِنُ في الـثرى لِـيردَّهـم في قلبِهـا المتحجِّـرِ

*

يـومٌ أطلَّ عـلى العصور الخـاليَهْ ودعا: «أمرَّ على الورى أمثاليَهْ ؟ »

(*) حاول اليهود في صيف ١٩٢٩ الخروج على التقاليد الثابتة المتعلقة بصلاتهم في موقع (البراق) ، فهاج العرب لأنهم فطنوا الى ما يضمر اليهود من وراء هذه المحاولة من اعتداء على الأماكن الاسلامية المقدسة ونشبت في القدس والخليـل ويافـا وصفد اضطرابات دامية بين اليهود والعرب قتل فيها من اليهود عدد كبير في مدينتي الخليل وصفد . ثم القت السلطات البريطانية القبض على بعض الشبان واتهمتهم بقتل اليهود وحوكموا . وصدرت احكام الاعدام على الشهداء الثلاثة وهم فؤاد حجازي من صفد ، ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل ، رحمهم الله جميعاً .

فأجابَهُ يومٌ : « أجـلْ أنا روايَـهْ لمحاكمِ التّفتيش ، تلك الباغِيَهْ
ولقـد شهـدتُ عجـائبـاً وغرائبا
لكنَّ فـيـكَ مصـائـبـاً ونوائبا
لم ألْقَ أشبـاهـاً لهـا في جـوْرِهـا فاسألْ سوايَ وكم بها مِنْ منكَرِ »

*

واذا بـيــومٍ راسـفٍ بـقـيــودِهِ فأجابَ ، والتاريخُ بعض شهُودِهِ :
« أُنظرْ الى بيضِ الرَّقيقِ وسودِهِ مَنْ شـاءَ كـانـوا مُلكَـهُ بنقـودِهِ
بشرٌ يُـبـاعُ ويُـشـترى فتحرَّرا
ومشى الـزَّمـانُ القهقـرى فيما أرى . . .
فسمعتُ مَنْ منعَ الرَّقيقَ وبَيْعَـهُ نادى على الأحرارِ يا مَنْ يشترى ! »

*

واذا بيـومٍ حـالـكِ الجلْبـابِ مُتَـرنّحٍ من نَشْـوةِ الأوصْـابِ
فأجابَ : « كلاّ ، دون ما بكَ ما بي أنا في ربى (عاليه) ضاع شبابي
وشهـدتُ للسفّـاح مـا أبكى دما
ويـلٌ لـه مـا أظـلما لكنها . . .
لم ألْقَ مِثْلَكَ طـالعـاً في روعـةٍ فاذهبْ لعلّكَ أنتَ يومُ المحشرِ »

*

(اليـومُ) تُنكرهُ اللّيـالي الغـابـرهْ وتـظلُّ تَـرْمقُـه بعـينٍ حـائـرهْ

عجباً لأحكام القضاءِ الجائرهْ فـأخفُّها أمثـالُ ظُلمٍ سـائـرهْ
وطنٌ يسـيرُ إلى الـفنـاءْ بلا رجاءْ
والـداءُ لـيس لـه دواءْ إلّا الاباءْ
إنَّ الابـاءَ مَناعـةٌ ، إن تَشْتَمِـلْ نفسُ عليـه تَمُـتْ ولمّـا تُقـهـرِ

*

الكـلُّ يرجـو أن يُبكِّـرَ عَفْـوُهُ[1] نَدْعو له ألا يُكَدَّرَ صفـوُهُ . . !
إنْ كان هذا عطفُهُ وحُنُـوهُ . . . عاشتْ جلالَتُهُ وعاشَ سُموُّهُ . . !
حَمَـلَ الـبريـدُ مُفصَّـلا ما أجملا
هـلاَّ اكتفيتَ تـوسُّـلا وتسوُّلا
والمـوتُ في أخـذِ الكـلامِ وردِّهِ فخذِ الحياةَ عن الطّريقِ الأقصرِ

*

ضـاق الـبريـدُ ومـا تَغـيّرَ حـالُ والـذُّلُّ بـين سـطورنـا أشكـالُ
خُسْرانُـنـا الأرواح ، والأمـوالُ وكـرامةٌ ـ يـا حسرتـا ـ أسمـالُ
أوَ تُـبصرونَ وتسـألـونْ ماذا يكونْ ؟!
إنَّ الخـداعَ لـه فـنـونْ مِثْلُ الجنونْ
هيهاتَ ، فالنفسُ الذليلةُ لو غَدَتْ مخلوقـةً من أعـينٍ لم تُـبْصرِ !

*

---

(١) الضمير يعود الى المندوب السامي البريطاني في فلسطين وقد ألحت الهيئات السياسية العربية عليه ليصدر العفو فلم يفعل .

أنّى لشاكٍ صوتُه أنْ يُسْمَعا   أنّى لباكٍ دمعُه أن ينفعا
صخرٌ أحسَّ رجاءَنا فتصدَّعا   وأتى الرجاءُ قلوبَهم فتقطّعا . .
لا تعجبوا ، فمن الصخورْ   نبعٌ يفورْ
ولهم قلوبٌ كالقبورْ   بلا شعورْ
لا تلتمسْ يوماً رجاءً عندَ مَنْ   جرَّبْتَهُ فوجدتَهُ لم يَشْعُرِ

الساعات الثلاث

الساعة الأولى

أنا ساعةُ النفسِ الأبيّهْ   الفضلُ لي بالأسبقيّهْ
أنا بِكْرُ ساعاتٍ ثلاثٍ   كلها رمزُ الحميّهْ
بِنْتُ القضيّة إنَّ لي   أثراً جليلاً في القضيّهْ
أَثَرُ السُّيوف المشْرَفيّةِ   والرماحِ الزاغبيّهْ
أودعتُ في مُهجِ الشبيبةِ   نفْحةَ الرُّوح الوفيّهْ
لا بدَّ من يوم لهم   يَسْقي العدى كأسَ المنيّهْ
قسماً بروح (فؤاد) تصعدُ   من جوانحِهِ زكيّهْ
تأتي السماءَ حفيّةً   فتحلُّ جنّتَها العليّهْ
ما نال مرتبةَ الخلود   بغيْرِ تضحيةٍ رضيّهْ
عاشتْ نفوسٌ في سبيلِ   بلادِها ذهبتْ ضحيّهْ

الساعة الثانية

أنـا سـاعـةُ الـرجـل العتيـدِ أنـا سـاعـةُ البأسِ الشـديـدِ
أنـا سـاعـةُ المـوت المشـرِّفِ كـلِّ ذي فـعـلٍ مجـيـدِ
بَـطلـي يُحَـطِّـمُ قـيـدَهُ ـ رمـزاً لـتحـطيـم الـقيـود[1]
زاحمـتُ مَـنْ قَـبْـلي لأسْـبِـقَـهـا إلى شَـرَفِ الخـلودِ
وقَـدَحْـتُ في مُـهَـجِ الـشـبـابِ شرارةَ الـعـزمِ الـوطيـدِ
هـيـهـاتَ يُخْـدَعُ بـالـوعـودِ ، وأن يُخَـدَّرَ بـالـعـهـودِ
قـسـماً بـروحِ (محـمـد) : تَـلْقى الـردى حُـلْوَ الـورودِ
قـسـماً بـأُمـكَ عـنـد مـوتِـكَ وهـي تهـتـفُ بـالـنّشـيـدِ
وتـرى الـعـزاءَ عَـنْ ابـنِـهـا في صيتِـه الحسـنِ الـبعـيـدِ
مـا نـال مَـنْ خـدمَ الـبـلادَ أجَـلَّ مـن أجْـرِ الـشـهـيـدِ

الساعة الثالثة

أنـا ساعـةُ الـرّجـل الصَّبـورِ أنـا سـاعـةُ الـقلبِ الـكبـيرِ
رمـزُ الـثّـبـاتِ الى الـنِّهـايـة في الخـطيرِ مـن الأمـورِ
بَـطلي أشـدُّ عـلى لـقـاءِ المـوتِ مـن صُـمِّ الـصُّـخـورِ
جـذلان يـرتـقـبُ الـرَّدى فـاعـجـبْ لمـوتٍ فـي سرورِ
يَـلْقى الالـه (مُخَـضَّـبَ الـكـفَّـيْن) في يـومِ الـنّـشـورِ

---

(١) نفذ حكم الاعدام بالأبطال الثلاثة في ثلاث ساعات متوالية . فكان أولهم فؤاد حجازي وثانيهم محمد جمجوم وثالثهم عطا الزير . وكان المقرر رسميا أن يكون الشهيد عطا ثانيهم ولكن جمجوما حطم قيده وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببغيته !

صَبْرُ الشبابِ على المصابِ وديعتي ملءُ الصُّدورِ
أنْذرتُ أعداء البلادِ بشرٍّ يوم مُستطيرِ
قسماً بروحك يا (عطاء) وجنّةِ الملك القديرِ
وصغارِكَ الأشبالِ تبكي اللّيثَ بالدَّمعِ الغزيرِ
ما أنقذ الوطن المفدى غير صبّار جسورِ

الخاتمة

الأبطال الثلاثة

أجسادهمْ في تربة الأوطانِ أرواحُهم في جنّةِ الرَّضْوانِ
وهناكَ لا شكوى من الطغيانِ وهناك فَيْضُ العفْوِ والغفرانِ
لا ترجُ عفواً من سواهْ هو الالهْ
وَهْوَ الذي ملكت يداه كل جاه
جَبَرُوتُه فوقَ الّذين يغرّهمْ جَبَرُوتُهمْ في برِّهمْ والأبحرِ

٢٧ حزيران ١٩٣٠

ليلى كوراني[1]

بـين لـيـلى وسـعـاد ومـنى ... حـار إلياس كـما حرت أنـا
غـير أني لا أرى من عـجب ... أن يكـون الاسم قد حـيرنا
تـكـثر الاسـماء في شيء اذا ... كـثر المعنى بـه او حـسنـا
طـفلة عـن والـديها نسخـة ... كرمت أصلاً وطـابت معـدنا
قـل لـوجه البـدر إن قـابلتها ... جـاءك الحسن انعكاساً من هنا
لـكـن الـبشرى بـليـلى إنها ... أول الأزهـار في روض الهـنـا
أطـعم الـعـزّاب ربيّ مـثلهـا ... ربِّ مـا ضرك لـو أطـعمـتنـا
ربِّ اطعمني غـلاماً شـاعـراً ... لـدواعي الحسن مثلي مـذعنا
ولـيكـن مجنـون لـيـلى وليكن ... طيّب القلب ظـريـفـاً لَسِـنـا
ولـيكـن مـثـل أبيـه : إنـنـا ... لم نـوفّـر غـادة في شـعـبنـا

بيروت ، ١٥ ـ ١١ ـ ١٩٣٠

---

(١) السيد الياس كوراني ـ الجامعة الاميركية ـ رزق طفلة حار في تسميتها فكانت سعادا ثم منى ثم قر قراره على ليلى . وقد دعا نخبة من معلمي الجامعة الاميركية الى حفلة انس في داره فألقيت هذه الأبيات .

هواكِ جبّار

هـــواكِ جـبّـــارْ عــلــى الــقــلــب جــارْ
أمانْ !! أمانْ !!
مِــنْ زفــرةِ الــلـيـلِ وغـــمٍّ الــنّـهـــار
أمــانْ !

يــا أمــلي يــا نــورَ مستقبــلي أوقـعني صـمتُـكِ في مُـشكِــل
ما خبّأَ الدهرُ بعينيكِ لي ؟
هـل ابتسامٌ فيهـما أم دموع ؟ تُـذيبُ قلبي كمـداً في الضلوعْ
يا ليت مكنونهما ينجلي

*

سـعــادُ لا يَهْــدأُ هــذا الفـؤادْ ولنْ يـذوقَ الجفنُ حُلْوَ الـرقـادْ
ما لمْ تصافيني الهوى يا سعادْ
لـو كان حـظّي منكِ أنْ تعلمي مـا تصنـعُ الأشـواقُ بـالمغــرمِ
لرقَّ لي قلبُكِ والدَّمعُ جادْ

*

أبصرتُ في جنْحِ الدُّجى طائفاً   كلمْحةِ البرقِ سرى خاطفا
ثم دنا يصعقُني هاتفا :
« سعاد ، لم تخطرْ على بالِها   ولمن تكنْ موضعَ آمالِها . . . »
ثم تولّى يسبقُ العاصفا

*

أصبحتُ لا يَشْفي غليلي ابتسامْ   ولا انحناءُ الرأسِ عند السلامْ
أولى بنا لو نتشاكى الغرامْ
يا حبّذا لُقيا على موعد   وحبّذا أخْذُ يدٍ في يدِ
حتّى يقول الناسُ هامتْ وهامْ !

*

ماذا أصاب الروْضَ حتى ذَوَى   والهفا ؛ والغصْنَ حتى التوى
وأيُّ بُرْدٍ للربيعِ انطوى
الروضُ يملي يا سعادُ العِبَرْ   في زَهَرٍ مثلِ الأماني انْتَثرْ
يا روضةَ الحسنِ حذارَ الهوى :

*

هواكِ   جبّارْ على القلب جارْ
أمانْ !! أمانْ !!

مــن زفــرةِ الــلّيــل وغـــمٍّ الــنّهــــار
أمــانْ !

٢٢ كانون الأول ١٩٣٠

الحبشي الذبيح

... هذه الديكة الحبشية او الديكة الهندية ـ إذا شئت ـ التي يذبحونها على رنين الأجراس وأفراح المعيدين لتكون (عروس المائدة) تعمل فيها المدى تقطيعاً وتشذيباً لتمتلىء بها البطون مروية بكؤوس الخمر من بيضاء وحمراء ...

كذلك هي الأمم المغلوبة على أمرها كانت ، وما برحت « عروس الموائد » شأن « الحبشي الذبيح » أما ريشه فتحشى به الوسائد ، وأما لحمه فتحشى به البطون[1] .

جريدة البرق ١٩٣١

بـرَقَتْ لـه مسنـونـةً تتـلهّبُ ... أمضى من القَـدرِ المتاحِ وأغلبُ
حَزَّتْ فلا خـدُّ الحديـدِ مخضّبٌ ... بـدمٍ ولا نحرُ الـذبيـح مخضَّبُ
وجرى يصيحُ مصفِّقاً حيناً فـلا ... بصرٌ يـزوغُ ولا خـطىً تتنكّبُ
حتى غَلَتْ بي ريبـةٌ فسـألتهمْ ... خـانَ السِّلاحُ أم المنيّـةُ تكـذبُ

---

(١) بعد أن رأى ابراهيم منظر الديكة المذبوحة ليوم العيد خطرت له فكرة « السرور على حساب الألم » ثم فاجأته جريدة البرق بهذا التعليق فكان أن كتب « وليس من الفن الشعري في شيء أنْ تحصر السامع او القارىء في نقطة معينة ... فقد يرى العاشق في الأبيات غزلاً ، والوطني حماساً ، والاجتماعي إصلاحاً ... » .

قالوا حلاوةُ روحه رقصتْ به فأجبتهم ما كلُّ رقصٍ يطربُ
هيهاتَ ، دونكه قضى ، فإذا به صَعقٌ يشرِّقُ تارةً ويغرِّبُ
وإذا به يَزْوَرُّ مختلفَ الخطى وزكيّةٌ مَوْتورةٌ تتصبّبُ
يعدو فيجذِبه العياءُ فيرتمي ويكاد يَظْفَرُ بالحياةِ فتهربُ
متدفقٌ بدمائه متقلِّبٌ متعلِّقٌ بذَمائِه متوثبُ
انَّ الحلاوةَ في فمٍ متلمظٍ شَرِهاً ليشرب ما الضحيّةُ تسكبُ
هي فرحةُ العيدِ التي قامت على ألمِ الحياةِ ، وكلُّ عيدٍ طيِّبُ

بيروت ، تمَّ نظمها يوم الجمعة ٢٦ كانون الأول ١٩٣٠

صاحب غمدان

رثاء العلامة المرحوم جبر ضومط

(استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية)

(أغمدان) ما يُبكيكَ يا كعبةَ الهدى ... وفيم الأسى يا هيكل الفضلِ والنّدى
عذرتُكَ لو أصبحتَ وحدكَ مبتلىً ... أغمدان صبراً لست بالخطب أوحدا
لئن مات يا غمدان (جبرٌ) فشدَّما ... أعـدَّ رجـالاً للحيـاة وجـنّـدا
أتبكي على (جبر) وحولك جنده ؟ ... عزاؤك فيمن راح حولك واغتدى
لِبـانيـك روحٌ مـا يـزال يمـدُّهُمْ ... وظلُّك ممدود على الدَّهرِ سرْمـدا
ويا مَنْ رأى أركانَكَ الشمَّ في الربى ... تَبـوّأنَ من جناتِ لبنـان مقعـدا
حنـوْتَ على أمِّ اللُّغـات فصُنْتَها ... وكنت لها الصّرحَ المنيـعَ الممرَّدا
وكـان لها (جـبرٌ) أميناً وحـاميـاً ... اذا ما بغى الباغي عليها او اعتدى
وللعلم في لبنان شيدت معـاهدٌ ... فلم تبقَ أيدي الجهلِ منهن معهدا[1]
وأقبـحُ مما قـد جَنَوْهُ اعتـذارهم ... فقالوا : يضيعُ المالُ في رفعِها سدى
وقـد زعموهـا تُنْفِدُ المـالَ كثـرةً ... فهل تركـوا مالاً هنـاك فينفدا !
مصابيحُ إنْ هم أطفـأوها فـإنّها ... حباحبُ شؤمٍ كم أضلّتْ من اهتدى

---

(١) غمدان اسم قصر الفقيد في جبل لبنان .

(٢) إشارة الى اغلاق المدارس في لبنان ايام الانتداب الفرنسي سنة ١٩٢٩ .

وما لهفي إلاَّ على ساعةٍ بها صدقنا العدا، لا بارك الله في العدا
فكمْ مِنْ يدٍ بيضاءَ للعرب عندهم «ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا»
لئن خلّفوا لبنان يخبط في الدجى فغمدان يا لبنان ما انفكَّ فرقدا

*

طريقُ الرَّدى مهما يَطلْ يلقه الرَّدى قصيراً؛ وإن يَوْعُرْ يَجِدْهُ ممهّدا
وموت الفتى تحني الثمانون ظهرَه كموت الفتى في ميعةِ العمر امردا
حياتك يا إنسان شتّى ضروبها تحيط بها شتى ضروب من الرَّدى
وما قَهَرَ الموتَ القويَّ سوى امرىءٍ يخلِّفُ بين الناس ذكراً مخلّدا
يخلّف طيبَ الذكر، لا كالذي قضى وخلّف وعداً في فلسطين أنكدا[1]
فأبكى به قوْماً وأضحك أُمة أبى الله إلاّ أن تهيمَ تشرُّدا
ولكنَّ خيرَ الناسِ من كفَّ شرَّه عن النّاس أو أغنى الحياةَ وأسْعَدا
(كجبرٍ) و(عبدالله) طاب ثراهما ولا زال فوّاح الشَذى ريِّق الندى[2]
على خير ما نرجوه كان كلاهما جهاداً وإسعاداً وغيْباً ومشهدا
وهاما هياماً في هوى « مضرية » كما انقطعا دهراً لها وتجرُّدا
فكم نشرا من ذلك الحسن ما انطوى وكم آيةٍ في ذلك السحر جدَّدا
بلاغتها افتنّتْ « بجبرٍ » وآثرت فصاحتها « البستانَ » ظلاًّ وموردا
اذا لغةٌ عزَّت ـ ولو ضيم أهلها ـ فقد أوشك استقلالها أن يوطّدا

*

(١) الاشارة الى اللورد بلفور، صاحب الوعد المشؤوم للصهاينة باعطائهم فلسطين وطناً قومياً لهم.

(٢) عبدالله البستاني صاحب قاموس (البستان) وقد توفي بعد الاستاذ ضومط بأيام يسيرة.

(لجبرٍ) يدٌ عندي تألَّقُ كالضحى ... وقـلْ لها شكـراً رثائيـكَ منشدا

غشيتـك في دارٍ ببيروت للنـدى ... ولـلأدب العـالي فِنـاءً ومنتـدى

وحفَّ ذويكَ البشرُ من كل جانبٍ ... وبـين أسـاريـر الـوجـوه تَـردَّدا

وآنستَ بي من فيْض نورك لمحةً ... فأعليتَ من شأني معيناً ومرشدا

لقـد كنتَ بي بَرّاً، فيـا بِرَّ والـدٍ ... تـوسّمَ خيـراً في ابنـه فَتَعَهّـدا

ويا حسرتا أضحي بنعماكَ نائحاً ... وكنتُ بهـا من قبل حـينٍ مغرِّدا

عجبتُ لها من همةٍ كـان منتهى ... حياتك فيهـا حافـلاً مثلَ مبتـدا

فيا لغتي تيهي (بجبرٍ) على اللُّغى ... ويـا وطني ردِّد بـآثـاره الصـدى

القدس ، ١٩٣٠



تحية مصر

قيلت القصيدة في الحفلة التي أقامتها الجمعية المصرية (في الجامعة الاميركية) لفرقة لاعبي كرة القدم من الجامعة المصرية . وقد أقيمت هذه الحفلة في (فسيريو) وتكلم فيها كل من رئيس الجامعة ، ورئيس القسم الطبي ، والاستاذ الخولي ، وقنصل مصر وغيرهم . وفي القصيدة إشارة الى ترفع المصريين عن بقية الأقطار الشرقية على شدة تعلق هذه الاقطار بمصر . وقد وضعت الواقع في شكل عتاب لين الملمس في أنيابه العطب :

٣٣٩٤ البرق

تحية لك يا مصر الفراعين ... ذوي المآثر من حيٍّ ومدفون
ولم تزل دوحة الآداب وارفة ... على جوارك خضراءَ الأفانين
اليك يا مصر ايمائي وملتهفي ... ونور نهضتك الغراء يهديني
ولي أواصر قربى فيك ما برحت ... لما مضى ذات توثيق وتمكين
شقوا القناة عساها عنك تبعدني ... انى ومن لهفتي جسر سيدنيني
أحب مصر ولكن مصر راغبة ... عني فتعرض من حين إلى حين
وان بكت لابكت هماً فقد علمت ... وأيقنت ان ذاك الهمّ يبكيني
وما عتبت على هجر تدلُّ به ... ان الدلال يمنيني ويغريني

لكن جزعت على ود أخاف اذا فقدته لم أجد خلاً يواسيني
في أصدقائي أعزّى إن همُ هلكوا وفي الصداقات ما لي من يعزيني
قالوا شفاؤك في مصر[1] وقد يئسوا مني وأعيى سقامي من يداويني
خلفتها بلدة يعقوبُ خلفها شوقاً ليوسف قبلي فهو يحكيني
تقلني من بنات النار زافرةٌ تَكْتَنُّني وهجير البيد يصليني
تمضي عل سنن الفولاذ جامحة وجذوة الشوق تزجيها وتزجيني
حتى سمت ليَ جنات النخيل على ضفاف مطرد النعماءِ ميمون
هبطت مصر وظني أنها رقدت في ظلٍّ اجنحة من ليلها جون
كأنها وكأن الليل منصدعاً بنورها سرُّ صدر غير مكنون
والأزبكيّةُ في الأمساء راقصة لها غلائل من شتى الرياحين
والنور ذو لحظات في خمائلها كأنها لحظات النُّهدِ العين
ما لي وللسقم أخشاه وأسأل عن طَبيبه (وعماد الدين)[2] يشفيني
لو أنشب الموت بي اظفاره لكفى بأم كلثوم ان تشدو فتحييني
هذا ، ومصر بساتين منمقة (شبابها) بعض ازهار البساتين
خاضوا ميادين من جدٍّ ومن لعب فأحرزوا السبق في كلٍّ الميادين

٦ شباط ١٩٣١

(١) في شهر تموز ١٩٢٢ كان الشاعر في مصر يستشفي .
(٢) شارع عماد الدين هو شارع الفنون الجميلة .

إلى ذات العصابة الزرقاء

روحي فـداءُ عصابـة زرقـاءِ   لَمّتْ شعـورَ مليحـة حسنـاءِ
مـا زيّـنَتْـكِ وإنمـا زيّـنْتِـهـا   بجوارهـا لجبينـك الـوضّـاءِ
ودنُـوهـا من مقلة مكحـولـة   فتّـانـةٍ ، فتّـاكـةٍ ، حـوراءِ
إن الجمـال إذا تجـمّـع شـمـله   فـالويـل كـل الـويـل للشعـراء

١٥ شباط ١٩٣١



طيف الأمل

لله ما أعجبه هوىً بقلبي نزلا
هوىً على علاته أبني عليه أملا
هوىً لمن لم أرها يذهب عني مثلا
قيل سمت خلقاً على أترابها قلت بلى
قيل انتهى الحسن لها قلت : لها .. واكتملا
قيل اسمها محاسن جلَّ من اسم وعلا
لا طاب لي عيش اذا رضيت منها بدلا

٢٠ شباط ١٩٣١

بَهَاء(١)

بَهـا ! لم تـقـع الـعـينُ عـلى أبهـى ولا ألـطَفْ
ولا أدنى الى الـقـلب ولا أشـهـى ولا أظـرفْ
شـغفـت بهـا ومَنْ يـبـلُ غـرائـبَ دلّهـا يـشـغـف
وهـامَ بِهـا أخـي [...] حـتى بـاع مـا ألّـفْ
وقـد صـنف في الحـبٍّ عن الـعلمِ الـذي صـنف
وقـال : الـشـمس والـبـدر ولا والله مـا أنـصـف
دعِ الشمس الـتي تُكـسف والـبـدر الـذي يخـسف
بَهَـا فـتـنـة رام الله مَـنْ شَـتّى ومـن صـيّـف
شـفـت نـظرتهـا المـدنـف لّمـا أوشـك المـدنف
وكـم خـالٍ مـن الاسـقـام ردّوه وقـد أشرف

* * *

بَهـا تـطلع والـشـمس فـبـادرت إلى المشرف
غـدت معـطفهـا ازدان بغصـن البـانـة الأهـيف

---

(١) كان ابراهيم في رام الله سنة ١٩٣١ ، وتعرف هناك الى فتاة تسمى « بهية » فقال فيها مقطعات منها هذه .

صباحَ النور والنوار والورد وما فوّف
تردّ تحية الكفّ بغمزة جفنها الأوطف

* * *

لئن أشغلها عني طيورٌ حولها تُعلف
وما تطعمها الحَبَّ بل الكَرمَ الذي يقطف
فبين جوانحي طيرٌ على أيكتها رفرفْ

٢٤ تشرين الأول ١٩٣١

الغرام الأول

عهد غرامي الأولِ هيهات ما ترجع لي
أنتَ ومهجتي معاً أنت وحلو الأملِ
وليلة زاهرة سامرة بالقُبَلِ
وهجعة أحلامها صحّتْ فلم تؤوّلِ
على ذراعٍ خَضِلِ عند فؤادٍ ثملِ
أنت وما أوْدَعْتَهُ في يد ماضٍ مسبلِ
أنت وما أضعتَهُ بين شعاب الكرملِ
هيهات ما ترجع لي

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣١

اشربي

اشربي انت وحسبي نشوةٌ من مقلتيْكِ
اشربي أنت وحسبي نظرة في وجنتيك
اشربي أنت وحسبي نهلةٌ من شفتيْكِ
اشربي أنت ومالي وحياتي في يديْكِ

* * *

نقل الكأسُ حديثاً عن ثناياكِ العذابْ
انَّه لولا شذاها لم يكنْ لذًّ وطابْ
لم يكنْ يُسْكِرُ لولا أنه مسَّ الرُّضابْ
اشربي أنتِ، وحدِّث أنتَ عنها يا شرابْ

* * *

أنشديني ، أطربيني بهوى الاندلسِ
أرسلي اللحنَ شجيّاً كالصَّبا في الغَلَسِ
هو يا روحي لروحي كالنّدى للنّرجسِ
إنَّ أنفاسَكِ فيه لَحياةُ الأنفسِ

٨ شباط ١٩٣٢

أعجب الهوى[1]

تعلَّقها قلبي ولم أَدْرِ ما اسْمُها   وفي عيْنها ما بي وما سمعتْ باسمي
وما كان إلاّ في الطريقِ لقاؤُنا   ولحظٌ ـ كباقي الناس ـ يرْمي ولا يُصمي
أمَا عجبٌ ـ والأرضُ مَلأى بمثلها ـ   هُيامي بها دونَ الحسانِ على رغمي؟
وما بالها لم تحمل الوجْدَ والهوى   لغيري ، لهُ روحي ولم يعدُهُ جسمي
أراها فلم أملِكْ تَهالُكَ واهنٍ   بجنبيَ مسلوبِ الجراءَةِ والعزمِ
فيخطفُ لوْني فرطُ ما أنا واجدٌ   بها وبما يُلقي هواها على وهْمي
يُخَيَّلُ لي أنِّي دَنَوْتُ فأعرضتْ   فأصرِفُ وجْهي مُثْقَلَ الصَّدْرِ بالغمِّ
ظَنَنْتُ بها سوءاً ولم تجْنِ بعد ما   يُظَنُّ بِه ، ما أشبهَ الظَّنَّ بالأثمِ
ويُعرِبُ عن سِرِّ الضُلوعِ شحوبُها   إذا ما تلاقيْنا ، فبئْسَ إذنْ زَعْمي
وأُقسِمُ لو حدَّثتُها وتكشّفَتْ   سرائِرُنا ما شَذَّ عنْ همِّها همِّي
هوىً أَلَّفَتْ شتَّى القلوبِ يمينُه   وكمْ قَطَعَتْ يُسراهُ مِنْ صِلَةِ الرَّحْمِ
إذا كانَ في دنيا الهوى مِثْلَها أرى   فأيُّ عجيبٍ في هوى العُمْيِ والصُّمِّ

نشرت في ١٠ نيسان ١٩٣٢

---

(١) قالها في فتاة تلبس ثياب الممرضات ، وتعمل مربية لأولاد أحد الاساتذة في الجامعة الاميركية وكانا يتلاقيان فتعلو وجهيهما الحمرة ثم يطرقان ، ثم أصبحا اذا التقيا أغرقا، في الضحك ، حتى تحاشى كل منهما طريق الآخر (من تعليقات ابراهيم)

غادة إشبيلية(١)

افـدي بـروحي غيـدَ اشبيليـهْ وإنْ أذقْنَ القلبَ صابَ العذابْ

* * *

عَـلِقْتُ مـنهنَّ بِـتـرْبِ الـنّهـارْ وجْهاً ، وصِنْوِ اللّيْلِ فرعاً وعَيْنْ
في مثلِهـا يخلعُ مثـلي العِـذارْ ولا يبـالي كيـف أمسى ، وأيْنْ
أشـربُ مِن فيها وكـأسِ العُقـارْ معاً ، فكيف الصَّحْوُ من سكرتينْ
لَهْفي عليهـا يـومَ شَطَّ المـزارْ وسـاقَها البـيْنُ الى (النّيْربَـيْنْ)
ودَّعتُهـا ، ومهجـتـي مُشْـفِيَـهْ لم يَشْفني رشفُ الثّنـايا العـذابْ
وَوَدَّعَــتْ بـالـنظـرةِ المغْـرِيَـهْ تصحبُ لُبّي معهـا في الرِّكـابْ

* * *

يـا أعْصرَ الأنْـدَلسِ الخـاليـاتْ قد فازَ مَنْ عاش بتلكِ الربـوع
أهكـذا كـانت هنـاك الحيــاةْ مُتْرَفَـةَ الأيّـام ، مـلءَ الضلوعْ
أهكـذا الفتنـةُ في الغــانيــاتْ ونشوةُ الوصْلِ ، وحَرُّ الولوعْ . .

---

(١) قالها في راقصة اسبانية تدعى (مرغريتا) ، وكان عنوان القصيدة في الأصل « حسرة وأمل » .

لَئِنْ مضى عهدُ ذوينا وفاتْ ولم يَعُدْ من أملٍ في الرجوعْ
فذمَّتي بعدهمُ موفِيَهْ أرُدُّ ماضيهِمْ ببذْلِ الشّباب
أنا (ابْنُ زَيْدونَ) وتصبو لِيَهْ (ولّادةٌ) في دمِها والاهابْ . .

* * *

أوَّلُ عهدي بفنونِ الهوى . . بيروتُ ؛ أنْعِمْ بالهوى الأولِ . .
وقيلِ هل يَرْشُدُ قلبٌ غوى والرشدُ غَيٌّ في الصِّبا المقبلِ
مَدَدْتُ ـ لما قلتُ قلبي ارتوى ـ يدي ، فردَّتْهُ عن المنهلِ
بيروتُ ، لو شئتُ دفعتُ النوى طوْعاً ، ولم أهجركِ ، فالويل لي

في ذِمّةِ الله مُنىً مودِيَهْ باسقةٌ خضراءُ ، لُدْنٌ رطابْ
لعلَّ في أُختك يا سوريَهْ حسنَ عزاءٍ عن جليلِ المصابْ

* * *

يَلَذُّ لي يا عينُ أن تسهدي وتَشتري الصَّفْوَ بطيب الكرى
لي رَقْدةٌ طويلةٌ في غدِ لله ما أعمقَها في الثرى
ألم تَرَيْ طيرَ الصِّبا في يدي أخشى مع الغفلةِ أنْ ينفِرا
طال جناحاه وقد يهتدي إلى أعالي دوحِه مُبْكِرا

أرى الثّلاثين ستعدو بيَهْ مُغِيرةٌ أفراسُها في اقتراب

وبعــد عشرٍ يلْتــوي عــوديَــهْ ويَنضَبُ الزَّيت ويَخبو الشهاب[1]

* * *

لابدَّ لي إنْ عِشْتُ أن أعـطفـا على ربى الأنـدلسِ النّـاضـرهْ

وأجتــلي أشبـاح عهــد الصَّفـا راقصــةً ، فتّـانــةً ، سـاحــرهْ
هــنــاك لا أمــلِكُ أنْ أذرِفـا دمعي عــلى أيّـامِنـا الغــابـرهْ
عــســاك يــا دمــعَ محـبٍّ وَفَى تَــرُدُّ جــنّــاتِ المــنى زاهــرهْ

يــومئــذٍ أُلقي عــلى عــوديَــهْ لَحْنَ الهـوى أمْـزجُـهُ بـالعتــابْ
أفــدي بـروحي غيــدَ أشبيليـهْ وإن أذقْنَ القلبَ صابَ العذابْ

نابلس ، في ١٢ تموز ١٩٣٢ ونشرت في ١٣ آب ١٩٣٢

---

(١) كان عمره يوم نظم هذه القصيدة ٢٧ سنة ، وبعد تسع سنوات (لا عشر) أدركته منيته .

بيني وبين الناس . . .

كم قـائـل ، لـو كنت تلقاهــا لأنـكــرت عـيــنــاك مــرآهــا
ذابـلة ، نــاحـلة ، قــد محـت يــدُ الاسى الـقــاسي محيّــاهــا
لا تلقهــا ، لا تــرهــا ، إنها مـرّ بها المـوت فـأخــطاهــا

* * *

وســائــل هــل بـقيت فضـلة لــديك من حب وذكــراهــا ،
قــد مـرَّ عــامـان وهــا ثـالث فــواحـدٌ كــافٍ لــتـنـســاهـا
وأنـت كــالـنـحـلة مـن زهــرة لــزهـرة ، تسليـك إيــاهــا ؟
أخـطأتما ، لم تعـرفا مـا الهـوى كــلاكــما عن كنهــه تــاهــا :

* * *

السقْم لا يصرف وجـه امـرىء عن وجـه محبـوبٍ وإن شــاهـا
كــلا ولا يقصيــه ، حتى ولــو كــان من الاسقــام أعــداهــا
والمـوت مـا أبـلى هـوى عـاشقٍ ومـهـجــة المـعـشـوق أبــلاهــا
دونــك قــيـســاً مــثــلاً إنّــه إن جئت بـالامثال ، أعــلاهـا
مــا زال يـغشى قــبر ليــلى إلى أن أســلم الــروح فـلبّــاهــا

* * *

ألا تــرى النحـلة مهــما حــلا زهـر الـربى ، لم تنس مـأواهـا
تــطلبت عيني ســواهــا ، وقـد تـعلّـق الـقـلـب بمـغـنـاهـا
نعم تــذوّقت هــوى غــيرهــا فـلم يــطب لـلقــلب إلّاهــا
وان أجـد حسنـاً فمن حسنهــا أو نــفـحــةً ذكــرت ريّــاهــا
أو قلت في شكـواي واهاً سرت وردد الــوادي صــدى آهــا

مــظلومــة سيـقـت إلى ظـالم نــغّص مـغـداهــا ومسراهــا
كــان أبــوهــا راعيــاً ظــالمــاً لـلذئـب لا لــلحـبّ ربّــاهــا

القدس ١٤ تموز ١٩٣٢

اشتروا الأرض تشتريكم من الضيم[1]

حبّـذا لـو يصـومُ منـا زعيمٌ مثلُ (غَنْدي) عسى يُفيدُ صيامُهْ
لا يَصُم عن طعامِه ... في فلسطين يموت الزعيمُ لولا طعامُهْ ..
لِيَصُمْ عن مبيعِـه الأرضَ يحفظْ بقعـةً تستريـحُ فيهـا عـظامُـهْ
بـاركَ الله في حـريصٍ عـلى الأرضِ غيـورٍ يُنْهى اليهـا اهتمـامُـهْ
هم حمـاةُ البـلاد من كـل سوءٍ وهُمُ معْقِـلُ الحمى ودِعـامُـهْ
نهجـوا منهجَ القـويِّ وصفُّـوا لجـهـادٍ مـنـصـورةٍ أعـلامُـهْ

*

إنما عُـدَّةُ الضَّعيفِ (احتجـاجٌ) لم يجـاوِزْ حدَّ السـطورِ احتدامُـهْ
كـلَّ يومٍ حـزبٌ وحُلْمٌ فحدِّثْ عن ضعيفٍ سـلاحُـهُ أحـلامُـهْ
مغـرمٌ بـالبـلادِ صَـبٌّ ولكـنْ بسـوى القول لا يفيضُ غـرامُهْ
بَـطَلٌ إنْ عـلا المنـابـرَ ، كـرّارٌ سريـعٌ عنـد الفعَـالِ انهزامُـهْ !!
آزروا القـائمـينَ بـالعمـل الصـالـح إنَّ الأبيَّ هـذا مَقـامُـهْ[2]

---

(١) تنادى نفر من الزعماء الفلسطينيين سنة ١٩٣٢ إلى إنشاء ما يسمى « صندوق الأمة » لإنقاذ الأرض من البيع لليهود ، ودعت جريدة « فلسطين » لمعاضدة هذا المشروع فكانت هذه القصيدة في تلك المناسبة .

(٢) الاشارة الى الذين قاموا بمشروع (صندوق الأمة) .

آزروهم بــالمـال فــالأرضُ (صندوقٌ) لمــالِكم ، بــل قــوامُــهْ
اشـتروا الأرضَ تشـترِيكم من الضَّيْمِ وآتٍ مُسْـــوَدَّةٌ أيـامُــهْ . . .

١٤ أيلول ١٩٣٢

طير الصِّبا

طـيرُ الـصِّـبـا ولّى وكـان لي جـارْ
قــلتُ لــه « هــلَّا تـعـود لــلــدَّارْ ؟ »
فــقــال لي « كــلَّا . . كـلَّا » وطـارْ . .
أظــنُّه مَــلَّا مــنيٍّ الجــوارْ

خــلّفــنــي أبــكــي عــهــدَ الهــوى
خُــلعــتُ مــن مـلكــي عــرشــي هــوى
عــاش عــلى الــفــتــك قــلــبٌ غــوى
والــيــومَ في ضَــنْــكِ واهــي الــقــوى

قــال (أبــو ســلمى) زيــنُ أتــرابــي :
« صِبــاك قــد همَّــا . . خــلِّ الـتـصــابــي » . .
فــهــاج لــي غــمَّــا أقــتــلَ ممَّــا بــي
قــلتُ : « نــعــم حــتــماً وشــاب أحــبــابــي » . .

نوفمبر ١٩٣٢ ونشرت في ١ ـ ٣ ـ ١٩٣٣

عاش كلانا بالمنى(*)

كـان هـزاراً طَـرِبـاً بـالحـسـن مفـتـنّـا
فـابـتـسـمَ الحـبُّ لـهُ فـأحـسـن الـظَّنـا
ثـمَّ رماه بـالـتي تـبـدِّلُ الـلحـنـا
بـاتَ يهيـمُ نـائـحـاً وطـالمـا غـنَّـى

حُـكْـمٌ بـه الحبُّ قضى ما أظْـلَمَ الـقـاضي
حَسْبُـك أن ترضى بـه فـإنـنـي راضٍ
دعْـكَ من المـاضي فلو عـدتَ الى المـاضي
وجـدتَ وصـلَ سـاعـةٍ ودهـرَ إعـراضِ

صـحَّ الـذي جـرَّبْتُـهُ عـنـد (أبي سـلمـى)
الحـبُّ يـقـتـادُ الـفـتى وقـلبُـهُ أعـمـى
يـسـمـو بـه حـتى إذا بَـوَّأهُ الـنـجـمـا
رمـى بـه من حـالـقٍ يَحْـطِمُـهُ حَـطْمـا

(*) موجهة الى الاستاذ الشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) ، صديق ابراهيم .

عاش كلانا بالمنى نُرسلُها شعرا
تلك رُفاتٌ بَلِيَتْ تبعثُها الذكرى
نصوغُها ابتسامةً أو دمعةً تُذْرى
نَشْقى به حتى تحينَ الراحةُ الكبرى !

نشرت في كانون الأول ١٩٣٢

الدم الخفيف[1]

وطبيبٍ رأى صحيفةَ وجهي شاحباً لونها وعودي نحيفا
قال لاً بدَّ من دمٍ ، لك نعطيـ ـه نقياً ملءَ العروق عنيفا
لك ما شئتَ ياً طبيب ولكن أعطني من دمٍ يكون خفيفا !

١٩٣٢

---

(١) لعله الدكتور محمد خير النويري ، وقد أشار على ابراهيم بنقل دم اليه اذ كان مصاباً بفقر الدم ، واذا كانت هذه القطعة متصلة بهذه الحادثة فتاريخها سنة ١٩٣٤ .

الشريف حسين

رحمــةُ الله عــليــه إنــه غـالـه اليـأسُ ، وكـان الأمــلا
ويــح قــومٍ خــذلـوه بعــدمـا أخــذوا المــيــثــاقَ ألَّا يُخــذَلا
شـيمــة الـغــدْرِ بمن يـنصرهـم ذهبت يــا (ابن عــليٍّ) مثـلا

آل بيتِ المصــطفى لم تـبرحــوا تَــرِدونَ الموتَ في ظــلِّ العُـلى
كـادت الكـأسُ التي في قـبرص تُشْبـهُ الكـأسَ التي في كــربـلا

١٩٣٢

الشاعر المعلم[1]

(شوقي) يقول ـ وما دَرَى بمُصيبتي ـ « قم للمعلم وفِّه التبجيلا »
أقعدْ، فديتُك، هل يكون مبجلاً من كان للنشءِ الصغارِ خَليلا . !
ويكادُ (يفلقني) الأمير بقوله : « كاد المعلم ان يكون رسولا ». . !
لو جرَّب التعليم (شوقي) ساعة لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسبُ المعلم غمَّة وكآبة مرأى (الدفاتر) بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صُلحت وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو انَّ في «التصليح» نفعاً يرتجى وأبيكَ ، لم أكُ بالعيونِ بَخيلا
لكنْ أُصلِّح غلطة نحوية مثلاً ، واتخذ « الكتاب » دليلا
مستشهداً بالغرّ من آياته او « بالحديث » مفصلاً تفصيلا
وأغوص في الشعر القديم فأنتقي ما ليس ملتبساً ولا مبذولا
وأكاد أبعث (سِيبَوَيْهِ) من البلى وذَويه من أهلِ القُرون الأولى
فأرى (حماراً) بعد ذلك كلّه رَفَعَ المضاف اليه والمفعولا !!
لا تعجبوا إنْ صحتُ يوماً صيحة ووقعت ما بين «البنوك» قتيلا
يا من يريد الإنتحار وجدته إنَّ المعلم لا يعيش طويلا !

نابلس ٣١ ـ ٣ ـ ١٩٣٣

---

(١) مارس ابراهيم مهنة التعليم في المدرسة الرشيدية بالقدس ، وضاق ذرعاً بتلك المهنة ، ثم ساءت صحته فترك التعليم .

مداعبة قدري طوقان

لم يجـر في بـالي ولا حسـابي أن أحتفي بـالجبر والحسـاب
درسان كانا في الصبا عـذابي ويحهـما كم شنّجا أعـصـابي
وخلّفا قلبيَ في اضطراب

مـا هـذه الحـروف والأعـدادُ ما هـذه السـين أخي والصادُ
وكـيـف يـا وفـود يـا بـلاد تجـتـمـع الأشـبـاه والاضـداد
مثل الرياضيات والآداب

يـا محتفـين بـابن عمي قـدري إن أنـا قصّرت فهـذا عـذري
أكفـر إن غـازلتـه بـالشعـر فحسبكم منـا جـزيـل الشكـر
يا نخبة الأصحاب والأحباب

نشرت في ٢٤ - ٣ - ١٩٣٣

نعمة العافية(*)

اليـكَ تـوجّهتُ يـا خـالقي   بشكـرٍ عـلى نعمـة العـافيـهْ
إذا هـي ولَّـتْ فـمـن قـادرٌ   سـواكَ عـلى ردِّهـا ثـانـيـهْ
ومـا للطبيب يـدٌ في الشـفـاءِ   ولـكـنهـا يـدك الـشـافـيـهْ
تبـاركتَ، أنت معيـدُ الحيـاةِ   متى شئت في الأعـظم البـاليـهْ
وأنت المفـرِّج كـربَ الضعيفِ   وأنـت المجـيرُ مـن الـعـاديـهْ

آذار ١٩٣٣

(*) نظمها على إثر خروجه ، رحمه الله ، من المستشفى الألماني في القدس ، بعد أن أجريت له عملية جراحية كبرى في آذار سنة ١٩٣٣ .

ذكرى عشِيَّة زهراء[1]

هل (كَفْرَكَنَّة) مُرْجِعٌ لي ذكرُها	ما فاتني من عنفوانِ شبابي؟!
أمْ في صَبَاياها وفي رمّانِها	ما يبعثُ المدفونَ من آرابي . .
لو تنفعُ الذكرى ذكرتُ عشِيّةً	زهراءَ بَيْنَ كواعبٍ أتراب
فيهنَّ آسرةُ القلوب بحسنها	ودلالِها وحديثِها الخلّابِ
روحٌ أخفُّ من النّسيمِ وخاطرٌ	كالبرقِ مقرونٌ بحسنِ جوابِ . .
غرٌّ ثناياها وأشهد أنَّها	ممزوجةٌ رَشَفَاتُها بشرابِ
نُلقي أحاجيَ بيننا فتثيرُنا	للضّحكِ خاطئةٌ وذاتُ صوابِ
ونردِّد الألحانَ ، بينَ شجيّةٍ	تُمري مدامعَنا، وبَيْنَ عِذابِ
ولقد نُعرِّضُ باللِّقاءِ لموعدٍ	فيها، ونُسْلكُها طريقَ عِتابِ

---

(١) أول هذه القصيدة :

احبس يراعك يا أبا الخطاب   قد حل بي ما لم يكن بحسابي

نظمها بعد أن نسب إليه صديقه أبو سلمى قطعة مطلعها :

يا صبايا كفركنه   آه من أعينكنه

فشاعت القصيدة على أنها لابراهيم ، وظهرت على أثرها قصيدة أخرى بامضاء « أبي الخطاب » يتشوق فيها الى كفركنة ، فاضطر ابراهيم الى ان يقول الحقيقة وينكر نسبة القصيدة الأولى إليه ، ولكن كل ذلك نكأ الجراح القديمة الى كفركنة و(م . ص) .

قمنا وقد سقط النّدى وتزاحفتْ سُجُفُ الغمام ثقيلةَ الأهداب
تُخفي محيًّا البدر ثمَّ تُبينُه عبثَ المليحة دوننا بنقابِ . . .
وَجَفَتْ مضاجِعَها الجنوبُ وملؤها خفقان مضطَرِم الهوى وثّابِ
بتنا على صَفْوٍ وخوفِ تفرّقٍ للعاشقين مُهَيّءِ الأسباب

(نيسانُ) هان عليَّ حكمُك بالنْوى لما تحطّمت المنى في (آب . . .)
يا ليتَ من فَجَعَتْ فؤادي بالمنى لم تُبقِ لي ذكرى تُطيلُ عذابي

٢٦ ـ ٤ ـ ١٩٣٣

آل عبد الهادي
(بمناسبة افتتاح ناديهم في نابلس)

عهدَ الجدود سقاك صوبُ عهادِ ... ورجعت للأحفاد بالاسعادِ
ماضٍ تحصّنت البلاد بظلّه ... من كيد منتدب وصولة عادِ
المشرفية في الوغى خطباؤه ... تعلو منابر من متون جيادِ
وشبا الأسنة فيه ألْسِنَةٌ إذا ... نطقت فمنطق سؤددٍ وسدادِ
وطنية ان لم يكن عُرِف اسمُها ... لم يَخْفَ جوهرها على الأجدادِ
وتحرّجوا ان لا يمسّ حروفها ... قلمُ الجبان يخطُّها بمدادِ
حمراء أوردها الدماءَ حفاظهم ... كدراء لم تنفض غبار جهادِ
سائل بها (عزّون) كيف تخضبت ... بدم الفرنجة عند جوف الوادي[1]
دعت الرجال ولم تكد حتى مشت ... هِمم الى الهيجاءِ كالأطوادِ
ثم التقوا تحت السيوف وبينهم ... كأس الحتوف تقول هل من صادِ
كسروا من النسر الكبير جناحه ... ذي التاج والأعلام والأجنادِ
تركوه يجمع في الشعاب فلوله ... ويصب لعنته على القوادِ

---

(١) واقعة عزون : خرجت فرقة بقيادة الجنرال « لان » من مرج ابن عامر ، حيث كان نابليون ضارباً بجنوده ، فجعلت وجهتها عزون. وهي قرية لا تبعد كثيراً عن الساحل الفلسطيني شمالي يافا . وفي الوادي خرج عليهم شباب من أهل عزون بزعامة محمد الشبيطة فهزموهم واعملوا القتل فيهم .

هـل أهلكت (فرّوخ) إلاَّ نخـوة   منّـا لعسف فيـه واستبـداد[1]
لمَ يا دعاة السوء يُطمسُ فضل من   أضحى غداة الظلم اول فـادي
ثارت (بصالح) نخوة قـذفت به   في وجـه أقبـح ظـالم متمـادِ
ومضت بـه صُعـداً الى كـرسيـه   والمـوت في يـده وراء زنـادِ
ألقى بـه وبـظلمِـه من حـالقٍ   متضرجيْـن بحمـرة الفـرصـادِ

هل عهد (ابراهيم) غير صحيفة   قـد أشرقت بـالعِلْيَـة الأمجـادِ
أهـل الفعـال الغـر من أنجـاده   وذوي الحفـاظ المر من انـدادِ
كـرمت نحيـزتهم فهم نبـلاء في   اهـوائهم نـبـلاء في الاحقـادِ
قالوا أتمدح؟ قلت اهل فضـائل   وفـواضـل من آل عبـد الهـادي
اصـفيـتـكـم ودّي واعـلـم أنـه   ثقـل على اللؤمـاء من حسّـادي
لم يبتهـج قلبي كبهجتـه بكـمْ   لمـا تجمّع شمـل هذا (النـادي)
شمخت بـطارف مجدكم أركـانه   وتـوطـدت منكم بخـير تـلادِ

١ أيلول ١٩٣٣

---

(١) حادثة صالح وفروخ : حكم نابلس من قبل الاتراك العثمانيين حاكم اسمه فروخ باشا فطغى حتى ضاق الناس بظلمه . لذلك قام صالح طوقان بمهمة تخليص نابلس من ذاك الطاغية ، فصعد الى حيث كان يجلس فروخ في غرفة في السراي القديمة تطل على الساحة العامة . ولما صار أمامه اطلق صالح عليه عياراً نارياً مزق رأسه ثم أخذ برجله وألقى به من حالق الى الأهلين الثائرين المجتمعين في الساحة . وصالح طوقان هذا هو الذي ورد ذكره في تاريخ المرادي (سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر) بمناسبة ثورة بعلبك .

هدية رمّان

« قالها حين أرسل إليه فكتور بشارة من الناصرة
ومصباح كنعان هدية رمّان قالا إنها من كفركنا » .

قـد فهمنـا من الهـديـة معنى   غـير معنى الرمـان من كفـركنـا
فأثارت ذكـرى وهاجت جـراحاً   تـركتني من الصبـابـات مضنى
قـريـة يقـرن اسمهـا بـاسم (ابـراهيم) ممـا تفيض حبـاً وحسنـا
ملعب للصبـا وقد كـان يـوحي   كـلَّ يـومٍ مهـما أفـاض وأثنى

٥ ـ ١٠ ـ ١٩٣٣

صُورَتها المكبّرة[1]

بـرَّحَ بي الشـوقُ فلما طغى فـزِعْـتُ لـلرسْمِ فكبَّرتُه
ومـا شـفى داءً ، ولـكـنّـما قلبي شكـا البـعـدَ فَعَـلّلْتُـهُ
ولم أجدْ في الـرَسمِ أخـلاقَها جـرَّبتُها حيناً وجـربـتَهُ
منتـظري في غـرفتي دهـرَهُ جـودُ بخيـلٍ مـا تعـوَّدْتُـهُ
ظـلَّ وقد نـاجيتُـهُ بـاسماً ولم يمـانِـعْ حـين قـبّـلتُـهُ
عَـرَفْتُ لـلرَّسام إبْـداعَهُ وعـدتُ للرَّسمِ فـأنكَـرتُـهُ
قـد فـاتـه دَلُّ تـعـرَّفْـنُـهُ فيهـا ، ومَـطْلٌ كم تـذوَّقتُـهُ
لَـوْ جاءَني الـرَّسامُ بـالمشتهى كـفـرتُ بـالله وأشركـتُـهُ

١ تشرين الأول ١٩٣٣ (ونشرت في القبس ٩ ـ ١٠ ـ ١٩٣٤)

---

(١) هي صورة (مرغريتا) الراقصة الاسبانية (انـظر قصيدة : غيـد اشبيلية) وكـان ابراهم أعطى الصورة للفنان مصطفى فروخ كي يكبرها بالألوان المائية .

يا رجال البلاد

لا تبالي بألْفِ خَطْبٍ عراها   نفسُ حُرٍّ مفجوعَةٌ بحِماها
شفَّها الغيظُ والأسى وتراها   كَظمتْ غيظها ، وأخفتْ أساها
كلما أوشكتْ تسيلُ دموعاً   كاذباتٍ ضحكتُ مِمّنْ بكاها
قد سقى الأرضَ بائعوها بكاءً   لَعَنَتْهُمْ سهولُها ورباها
وطني مبتلىً بعُصْبةِ (دلاّلين) لا يتَّقونَ فيه الله
في ثيابٍ تُريكَ عِزاً ولكنْ   حَشْوُها الذُّلُّ والرِّياءُ سَدَاها
ووجوهٍ صفيقةٍ ليس تَنْدى   بجلودٍ مدبوغةٍ تغشاها
وصدورٍ كأنهنَّ قبورٌ   مظلماتٌ قلوبُهمْ مَوْتاها
حُسِبوا في الرجالِ ، هلْ كانتْ الأنعامُ إلاَّ لمثلِهم أشباها . . ؟

*

يا رجالَ البلاد يا قادةَ الأمّةِ ماذا دهاكُمْ ودهاها . . ؟
هلْ لديكمْ سياسةٌ غيرُ هذا القَوْل يُحيي من النفوس قواها
صَكَّت الألسنُ المسامعَ حتى   لَقِيَتْ من ضجيجكم ما كفاها
عرفَ الناسُ والمنابرُ والأقلامُ أفضالَكم فهاتوا سواها
كلكم بارعٌ بليغٌ ـ بحمد الله ـ طَبٌّ بحالنا ودواها
غيرَ أنَّ المريضَ يرقبُ منكمْ   هذه الجُرْعةَ التي لا يراها
كان أوْلى بكم لو انَّ مع القول فعالاً محمودةً عُقْباها

مَثَـلُ القـولِ لا يؤيِّـدُه الفِعْـلُ ، أزاهـيرُ لا يفـوحُ شـذاهـا
وهو كالـدَّوْحَةِ العقيمِ : ظـلالٌ واخضرارٌ ولا يُـرجّى جناهـا

*

رحـم الله مخـلصـاً لـبـلادٍ ساومـوه الـدّنيا بها فـأباهـا
لـو أتـوْهُ بـالتِّبر وَزْنَ ثـراهـا لأبـاهُ وقـال أفـدي ثـراهـا
انْـفـروا أيُّهـا النيـامُ فـهـذا يـومَ لا ينفـعُ العيـونَ كـراهـا
كُشِفَـتْ مـنكـمُ المقـاتـلُ وامتـدَّتْ اليها المثقفاتُ قناهـا
نبِّئـوني عن القـويِّ متى كـان رحيـماً ، هيهـاتَ مَنْ عـزَّ تـاهـا
لا يـلينُ الـقـويُّ حتى يُلاقي مثلَهُ عِـزَّةً وبـطشـاً وجـاهـا
لا سمتْ أمّـةٌ دَهَتْها خـطوبٌ أرْهَقَتْـهـا ولا يثـورُ فـتـاهـا

١٩٣٣

بعد عام
إليها . . !

هــواكِ أصبــح نَسْيــاً   كــلــوعـتي مَــنْــسـيّــا
قــد كـان شُغــلاً لقلبي   فـصــار قـلبــي خـليّــا
كـأنَّ حــلوَ الأمــاني   والــوصـلَ لم تــكُ شيّا
مــسـحــتُ آثــارَ حُـبٍّ   كــانت عــلى شفـتـيّــا
فيــا جفــونُ استقــرّي   عــاد الــرّقــادُ شـهـيّــا
وارقصْ عــلى حــبّ لــيــلاك يــا فــؤادُ مــليّــا

١٩٣٣

نسر الملوك(*)
رثاء المغفور له صاحب الجلالة فيصل الأول ملك العراق

ألقيت في حفلة الأربعين التي أقيمت في مدينة نابلس

شيِّعي الليلَ وقومي استقبلي طلعةَ الشمس وراء الكرملِ
واخشعي ، يوشك أن يغشى الحمى يا فلسطين سنىً من فيصلِ
يا لها من ديمة يرفعها منكبُ الأفق لعين المجتلي
نشأتْ أمناً وظلاً وهدىً كهدى النجم لفلك مقبلِ
ما دنا حتى همى الدمعُ فهل « إيلياءُ » الغيث فوق الجبلِ ؟
ذلك الفلكُ الذي يحمله مثلَه منذ جرى لم يحملِ
لو تعدّى لُجّةَ البحر به خاض في لجة دمعٍ مسبلِ
وانطوى العاصفُ والموج له فاكتسى البحرُ غضونَ الجدولِ
وإذا بالفلك يجري بينها كمرور الطيف بين المقلِ

(*) سافر المغفور له صاحب الجلالة الهاشمية فيصل الأول ملك العراق الى اوروبا ولكنه اضطر للعودة الى العراق بسبب فتنة الآشوريين ثم استأنف السفر الى اوروبا فوافاه الأجل المحتوم في سويسرا وقد نقل جثمانه الطاهر على ظهر باخرة وجيء به الى حيفا حيث كانت فلسطين عن بكرة ابيها بانتظاره . اما فتنة الآشوريين المشار اليها في هذه القصيدة فقد وقف منها المغفور له صاحب الجلالة الملك غازي ـ وكان ولياً للعهد ـ موقفاً صلباً ووقعت بينه وبين البريطانيين مشادة عنيفة بشأنها .

يكـرمُ الـراقـدَ يـدري أنـه يُؤْثـرُ الـراحـةَ والقلبَ الخـلي
راقـدٌ يـنعـمُ في ضـجـعـتـه خلّف الـدنيا بـه في شغـلِ
أيـقظ الـلّوعـةَ فـيهـا والأسى وغـفـا بـيـنهـما لم يحـفـلِ
مـطبقَ الأجفانِ عن جفن طغى جـامحِ الـدمـع وجفنٍ مجفـلِ
مـطمئنَّ القلبِ مـا تـزعجـه زفـراتٌ كـالغضـا المشتعـلِ

ما الذي أعدْدتِ من طيب القرى يـا فلسـطين لضيفٍ معجـلٍ ؟
لا أرى أرضـاً نـلاقيـه بهـا قـد أضاعَ الأرضَ بيـعُ السِفَلِ
فاستري وجهَـكِ لا يلمحْ عـلى صفحتيـهِ الخزيَ فـوقَ الخجلِ

أكـرمي ضيفَـكِ إنْ احببتـه بـأمـانيـه الكبـارِ الحـفَّـل
لا تقـومي حـولَـه معـولـةً مـن جـلال الملكِ ألاّ تُـعْـولي
واسـألي البـاغـين مـاذا هـالَهُمْ منـه في أكفـانـه إنْ تـسـألي
راعهم حـيّـاً وميتـاً فـاتقـوْا همَّـةً جـبّـارةً لم تُخْـذلِ
ورأوْا في كـل قـلب حـولـه جـذوةَ العـزمِ ونـورَ الأمـلِ
بـطلٌ قـد عـاد من ميـدانـه ظـافـراً يـا مـرحبـاً بـالبـطلِ

فـارس «الشقراء» يجلو بـاسمها غمـرةً ليلتُهـا مـا تنجـلي[1]
صـاحبُ التـاجَـيْنْ في مـوكبـه رايـةُ المجد المنيعِ الأطـولِ[2]

---

(١) لما أعلنت الثورة العربية الكبرى كان المغفور له الملك فيصل الأول خارج الحجاز في زيارة أعدها له الأتراك وعندما صمم الشريف حسين على اعلان الثورة ضد الأتراك بعث الى ابنه (الأمير) فيصل ببرقية جاء فيها (ارسلوا الفرس الشقراء) دعوة منه لابنه بالعودة الى الحجاز فعاد .

(٢) تاج سوريا وتاج العراق .

من رأى «نسرَ الملوك» المرتجى   طار من عقبانه في جحفلِ
وسواءٌ في الأعاصير مضوْا   أم مضوْا في نفحات الشَّمْألِ
كجنود الله طارتْ خيلُهم   يوم بدرٍ في سماءِ القسطل

من رأى ناراً على عاصفة   هكذا انقضَّ غضوباً من علِ
هبط المعقلَ يخشى حدثاً   ويمينُ الله حِرْزُ المعقلِ[1]
أشِرتْ « آشور » حتى جاءها   أمرُها بين الظبى والأسلِ
كلُّ لؤمٍ وعقوقٍ دونه   فعل «شمعون» لئيم «الموصلِ»[2]
ثورةُ الغاضب للحقِّ تُرى   هذه، أمْ شغبٌ من وُكَّلِ ؟[3]
ذلك السيفُ الذي جرَّده   فضحته عينُ هذا الصيقلِ
يا لَعَينٍ سهرتْ عن فيصلٍ   تحرس الملكَ له ما تأتلي
رأتْ الغدرَ فآذاها ، فهل   تحملُ الضيم ولمّا تغفلِ
خُلُقٌ في ابنك «غازي» لم يكن   بغريبٍ عن قريب المنهلِ
لم يُطِقْ شبلُك ضيماً سيدي ،   فاستمعْ للعذر قبل العذلِ
قد يكون الحزم في العزمِ وقد   يُكتبُ التوفيقُ للمستعجلِ
غضبةٌ من رجلٍ في أمَّةٍ   جعلته أمةً في رجلِ
من هفا للمثل الأعلى يجدْ   في بني هاشم أعلى مثلِ
أيُّكم يا آل بيت المصطفى   ما قضى مستشهداً منذ «علي»
لا أحاشي بينكم من أحدٍ   فكميُّ الحرب صِنْوُ الأعزلِ

(١) يشير الشاعر الى عودة المغفور له الملك فيصل الى العراق إثر فتنة الآشوريين .
(٢) شمعون هو زعيم الفتنة الآشورية .
(٣) يتساءل الشاعر هل هذه ثورة قام بها الاشوريون من تلقاء انفسهم ام فتنة حرضهم عليها الأجانب .

كـلكـم يـنـشــأُ قــلبــاً ويــداً ولســانــاً في جهــاد المبــطلِ
فـتــح الخـلدُ لـكـم هـيـكــله فــإذا أنـتـم بُـدورُ الهـيـكــلِ
ضمَّ جــبريـل جنــاحيـه عــلى سـؤْددٍ محض ونُـبْــلٍ أمــثــلِ
وأطــاف المــلأ الأعــلى بمــنْ عـزمـه في الحَقِّ عـزمُ الـرسـلِ
فيصــلٌ شيّــدَ ملكــاً لم يــزل بـحمى الله وغــازي يـعـتــلي
وبـشعــبٍ بــذلَ الــروحَ ومـن ينشُــدِ المـلكَ وطيــداً يَـبْــذُلِ
ليس من «حــامٍ» لكيـدٍ ينـبري فـيــه أو «منـتــدب» مختــتــلِ
أضرمـوا النـارَ وصبّـوا فـوقهــا دَمَـهـم حُــرّاً أبـيّــاً يـغــتــلي
صهـروا الأغلالَ وانصــاعوا الى دنس الأرضِ فقــالـوا اغتســلي
وإذا دجــلةُ عَــذْبٌ وِردُهــا وإذا النخــلُ كـريمُ المــأكــلِ
وإذا بــغــداد ممــا ازدهــرت حليةُ التـاريـخ بعـد العــطلِ
ووقــاهــا الله والــعــون بــه دولَ الـغــدرِ وغــدرَ الــدُّولِ

١٩٣٣

وِرد يغيضُ وهجرة تتدفق
رثاء المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني

وجه القضية من جهادك مشرق   وعلى جهادك من وقارك رونقُ
لله قلبك في الكهولة إنه   ترك الشبيبة في حياءٍ تطرقُ
قلب وراء الشيب متقد الصّبا   كالجمر تحت رماده يتحرَّقُ
أقدمتَ حتى ظلَّ يعجب واجماً   جيش من الأيام حولك محدقُ
تلك الثمانون التي وفّيْتها   في نصفها عذرٌ لمن لا يلحقُ
لكن سبقت بها ، فما لمقصّرٍ   سبب لمعذرة به يتعلقُ
غَمّرْتَها كالدوح ظاهر عوده   صلب وما ينفك غضاً يورقُ

وطني أخاف عليك قوماً أصبحوا   يتساءلون: مَن الزعيم الأليقُ ؟[١]
لا تفتحوا باب الشقاق فإنه   باب على سود العواقب مغلَقُ
والله لا يرجى الخلاص وأمركم   فوضى ، وشمل العاملين ممزقُ
أين الصفوف تَنَسّقَتْ فكأنما   هي حائط دون الهوان وخندقُ
أين القلوب تـألَّفَتْ فتدافعتْ   تغشى اللهيب وكل قلب فيلقُ

---

(١) يشير الشاعر الى ما كان يتردد بين الناس من اختلاف على من سيخلف المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني في رئاسة اللجنة التنفيذية العربية وهي التي كانت توجه الحركة الوطنية في فلسطين . ويذكر القارىء ان المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني هو والد شهيد فلسطين المرحوم عبد القادر الحسيني طيب الله ثراهما .

أين الأكفُّ تصافحتْ وتساجلَتْ تَبْني وتصنــع للخـلاص وتنفقُ
أمـا الزعـامـةُ فـالحـوادث أُمُّهـا تُعْطى على قـدر الفداء وتُـرزَقُ

يا ابنَ البلاد، وأنت سيد أرضها وســائها ، إنّي عليــك لمشفقُ
انـظر لعيشـك هــل يسرك أنـه وِرْدٌ يـغيض وهـجـرة تتــدفـقُ
ماذا يردّ الظلم عنك ، أحسـرةٌ أمْ زفــرةٌ، أمْ عَبْـرةٌ تــترقــرقُ
أمْ بثُّـك الشكـوى تـظن بيـانَها سحراً وحجَّتها الضحى يتألقُ !
لا تلجــأنَّ اذا ظُلِمْـتَ لمنــطق فهنـاك أضيع مـا يكون المنـطقُ

أفْضى الرئيس الى ظلال نعيمـه وارتــاح قلبٌ بـالقضيـــة يخفق
آثـاره مـلءُ العيـون ، وروحـه ملءُ الصدور وذكره لا يخلقُ[1]

نشرت في ٦ ـ ٥ ـ ١٩٣٤

---

(١) قيل لابراهيم: « ما هذا الرثاء ؟ لم تقل عنه أكثر من أنه كـان رجلاً عجـوزاً فيه خير » ؛ وقد شاء ابراهيم أن ينصرف عن الرثاء ، إلى موضوع أبرز كان يشغل كل فلسطيني .

أطلقي ذاك العيارا
« في ذكرى وفاة الشريف حسين »

« . . . وتوكل الشريف على الله ، ونهض في صباح اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ هـ - ٢ حزيران سنة ١٩٢٢ - قبل الفجر وبيده بندقية أطلقها طلقة واحدة كان لدويها صدى في جدة والطائف والمدينة . . . »

ملوك العرب للريحاني : ج ١

١

أطلقي ذاكِ العيارا قَدْكِ ضيماً واصطبارا
يُطلبُ العزُّ ابتدارا يدرك المجد اقْتِسارا
أطلقي ذاكِ العيارا
حطِّمي القيدَ الثقيلا واركبي الهولَ سبيلا
عاش يا نفسُ ذليلا بك من كان بخيلا
أطلقي ذاكِ العيارا
دبِّري الأمرَ نهارا واطلبي الحقَّ جهارا
واهبطي الهيجاءَ دارا ذلَّ من يُغفل ثارا
أطلقي ذاكِ العيارا

يــا لأعنــاقِ الــرجــالِ كيف مــالت بــالحبــالِ

فـهــاكِ أشبــالي ومــالي وعــتــادي لــلقــتــالِ

أطلقي ذاكِ العيارا

أعْنَقَتْ تسري انتشــارا فــكــرةٌ تحــمــلُ نــارا

تهــبطُ الــقــلبَ قــرارا تُلهبُ الصَّــدرَ استعــارا

أطلقي ذاكِ العيارا

عَــلِقَــتْ ثَــمَّ يــداه بــزنــاد فــطــواهُ

أضرم الــبــيــدَ ســنــاهُ ثــم ردَّدن صــداهُ

أطلقي ذاكِ العيارا

٢

انــظري يــوم أغــارا أيَّ أبــطالٍ أثــارا

أيَّ كــاســاتٍ أدارا بــين صرعى وسُكــارى

أطلقي ذاكِ العيارا

أحشــدي البيدَ أُســودا وامـلأي الشـامَ حقــودا

ووعــوداً وعــهــودا وبــنــوداً وبــنــودا

أطلقي ذاكِ العيارا

المــنــايــا تــتــبــارى والأمــانيَّ الــكــبــارا

طبِّقي الأرضَ انتصــارا واعــتــزازاً وافــتــخــارا

أطلقي ذاك العيارا

اغــدري غــدرَ القــويِّ بــالحســين بــن عــليٍّ[1]

---

(١) الضمير يعود الى بريطانيا العظمى .

لـستِ بـالخِـلِّ الـوفيِّ لـلحـليـفِ الـعـربـيِّ

فاملأي التاريخ عارا

أُمَّتي ، قَـذْكِ اصـطبـارا فـاطلبي العـزَّ ابتـدارا

وخـذي المجـد اقتسـارا هـاجني المـاضي ادَّكـارا

أطلقي ذاكِ العيارا

نشرت في ١١ ـ ٦ ـ ١٩٣٤

الشهيد

عبس الخطبُ فابتسمْ وطغى الهولُ فاقتحمْ
رابطَ الجأشِ والنُهى ثابتَ القلبِ والقدمْ
لم يُبالِ الأذى ولم يَثْنِه طارئُ الألمْ
نفسُه طَوْعُ هِمَّةٍ وَجَمَتْ دونَها الهممْ
تلتقي في مزاجِها بالأعاصير والحُممْ
تجمعُ الهائجَ الخِضَمَّ الى الراسخِ الأشَمْ
وَهْيَ من عُنصر الفِداءِ ومن جوْهرِ الكرمْ
ومن الحقّ جذْوةٌ لفحُها حرَّرَ الأممْ

سارَ في منهج العلى يطرُقُ الخلدَ منزلا
لا يبالي ، مكبَّلا نالَهُ أمْ مُجدَّلا
فهو رهْنٌ بما عزمْ
ربما غالَهُ الرَّدى وهو بالسجنِ مُرتهنْ
لم يُشيَّعْ بدمعةٍ من حبيبٍ ولا سَكَنْ
ربما أُدرج الترابَ سليباً من الكفنْ
لستَ تدري بطاحُها غيَّبتْهُ أم القُننْ
لا تقلْ أين جسمُه واسمُه في فم الزمنْ
انه كوكبُ الهدى لاحَ في غيْهبِ المحنْ
أرسلَ النُّورَ في العيونِ فما تعرفُ الوسنْ

ورمى النـــارَ في الـقلوبِ فــما تـعــرفُ الـضِّـغَـنْ

أيُّ وجــه تهــلَّلا يَــرِدُ المــوتَ مُــقْــبــلا
صعَّــدَ الـرُّوحَ مُــرسـلا لحــنَــهُ يُــنْـشِــدُ المــلا
أنا لله والوطنْ

نشرت في ١٨ ـ ٦ ـ ١٩٣٤

الى الأحرار

قرر الزعماء العرب في فلسطين الخروج بعد صلاة الجمعة من كل اسبوع بمظاهرة سلمية تعلن في المدن الفلسطينية ، الواحدة تلو الأخرى ، فألقت الشرطة البريطانية القبض على بعض الزعماء العرب واعتبرتهم مسؤولين عن هذه المظاهرات وساقتهم الى المحاكمة . ثم صدر عليهم الحكم بالسجن أو توقيع الكفالات . فوقعوا كلهم إلا المرحوم الشيخ عبد القادر المظفر الذي فضل السجن على توقيع الكفالة .

أحرارَنا! قد كشفتم عن (بطولتكم) غطاءَها يوم توقيع الكفالات ..
أنتم رجال خطابات منمّقة كما علمنا ، وأبطال (احتجاجات)
وقد شبعتم ظهوراً في (مظاهرةٍ) (مشروعةٍ !) وسكرتم بالهتافاتِ
ولو أُصيب بجرحٍ بعضُكم خطأً فيها ، إذاً لرتعتم بالحفاواتِ
بل حكمةُ الله كانت في سلامتكم لأنكم غير أهل للشهاداتِ

أضحتْ فلسطينُ من غيظ تصيح بكم: خلُّوا الطريق فلستم من رجالاتي
ذاك السجين[1] الذي أعلى كرامته فداؤه كل طلّاب الزعاماتِ

٧ - ٧ - ١٩٣٤ ونُشرت في ١٠ - ٧ - ١٩٣٤

---

(١)الاشارة الى الشيخ عبد القادر المظفر ، رحمه الله

فلسطين مهد الشهداء

كان بعض الناس في الأقطار العربية المجاورة
يرون الثراء الزائف الذي تمتعت به قلة من
السماسرة وباعة الأراضي العرب فتعمى قلوبهم عما
وراء هذه البيوع من خطر سيحل بفلسطين .

إخوانَنا أهلَ الوفاءِ أهلَ المودَّةِ والولاءِ
مِنْ كلِّ قُطْرٍ بالعُرو بةِ ذي ازدهارٍ وازدهاءِ
أحبابَنا لا تُخدَعوا عنَّا بظاهرةِ الرَّخاءِ . . .
ليستْ فلسطينُ الرخيَّة غَيْرَ مهدٍ للشّقاءِ
عُرِضَتْ لكم خلفَ الزّجاج تميسُ في حللِ البهاءِ
هيهات ذلكَ إنَّ في بَيْعِ الثّرى فَقْدَ الثّراءِ
فيه الرحيلُ عن الربوع غداً إلى وادي الفناءِ ![1]
فاليوم أمرحُ كاسياً وغداً سأُنبذ بالعراءِ
وأضَعْتُ صادقة الرَّجاءِ فأيْنَ كاذبةُ الرَّجاءِ
مَنْ ذا ألومُ سوى بني وطني على هذا البَلاءِ

* * *

للحَقِّ سَطْرٌ في صحافتِنا وللتّضْليلِ نهرُ

---

(١) لقد تحققت تلك النبوءة .

قَلِّبْ صحائفَها يُطِلُّ عليك بهتانٌ وهُجْرُ
للخاملين نباهةٌ فيها وللأغمارِ ذكرُ
هذا يُقالُ له الزّعيمُ .. كما يُقالُ لذاكَ حُرٌّ ..
وهناكَ سمْسارُ البلادِ فإنه الشّهْمُ الأغرُّ
فالمدحُ مثلُ القدحِ تضْمنُهُ لهم خُضْرٌ وحمرُ[1]
تلك الصحافة (كيمياء) لها بخلق الله سِرٌّ ..
تدع الكرامةَ وهي هزلٌ والمروءةَ وهي سُخْرُ
أين الصحافيُّ الصّريحُ تراهُ يعلن ما يُسِرُّ
صلْبٌ فلا قُرْبى تميلُ به، ولا مالٌ يَغُرُّ

* * *

مُنْذُ احتِلالِ الغاصبين ونحن نبحث في السياسةْ
شأنُ الضمير مع السِّياسة كالرَّقيق مع النّخاسةْ
مرَّتْ علينا ستٌّ عَشْرةَ، كُنَّ مجْلَبَةَ التّعاسةْ
فإلى متى يا ابنَ البلاد وأنت تُؤْخذُ بالحماسةْ
وإلى متى (زعماءُ) قومِكَ يخلبونك بالكياسه
ولكم أحَطْنا خائناً منهم بهالاتِ القَداسةْ
ولكم أضاعَ حقوقَنا الرَّجلُ الموكَّلُ بالحراسةْ! ..
والله ليس هناك إلّا كلُّ قنّاصِ الرئاسةْ

---

(١) إشارة الى ورق النقد الفلسطيني .

تـأتـيـه مِـنْ بَـيْـع الـبـلادِ   ومـا إلـيـه مـن الخـسـاسـهْ
وإذا اتّـقـاك (فـبـالجـرائـد) فالـنـجاسـةُ   لـلـنـجـاسـه[1]

١٩ - ١٠ - ١٩٣٤ والقطعة الأخيرة مؤرخة ٨ - ١٠ - ١٩٣٤

---

(١) كثر في ذلك الحين تسليط الصحافة للنيل من كرامات الناس .

مصرع بلبل[1]

حكاية رمزية تمثل الواقع في حياة المدن الكبرى حين يدخل غمارها الشاب قادماً من البلدة الصغيرة او القرية البسيطة . . . هذه الحياة الصاخبة تخلب ذلك الشاب بزخرفها وفنون لهوها وألوان عبثها ، تجتذبه فيرتمي بين احضانها ويلقي بقياده اليها فتذهب به في مزالق الضلال كل مذهب .

ثم تسفر هذه الحياة عن وجه كالح ، وتنقشع نشوتها عن صحو مضى أوانه . . . فإذا هنالك افلاس في احد ثلاثة : في المال ، او الصحة ، او المستقبل . وكثيراً ما اعلن الافلاس في الثلاثة جميعاً ، وهنالك الفاجعة الأبدية . . . أما « البلبل » في هذه الحكاية فرمز الشاب المخدوع ، واما « الوردة » فرمز بائعة اللهو والعبث . . . ، وأما « الروض » فهو رمز الحانة أو الملهى .

قــدَرٌ ســاقــه فــآواهُ روضــاً لم يكنْ طــار فيــه قبــلاً وغنّى
فــاستــوى فــوق ايكــة ورمى عينيــه فيــها هنــاك يُسرى ويُمنى
وإذا الروضُ بهجةُ الـروح طيباً وظـلالاً ، وفتنــةُ العــين حسنــا

(١) بدأ نظمها أواسط ١٩٣٢ واستوحاها من إحدى رقصات الراقصة الاسبانية (مرغريتا) متأثراً بقصيدة « البلبل والوردة » لأوسكار وايلد .

وكأنَّ الغديرَ بين ضلالٍ وهدىً كلما استوى أو تثنّى
تنحني فوقه كرائمُ ذاك الدوح منها الجنى ، وكم يتجنّى . .
مطمئنٌ يسير تيهاً ، فإن رامٍ عناقَ الصخورِ صدَّتْ فجُنّا
هكذا يصبح الحبيبُ المعني بعد حينٍ وهو المحب المعنّى

ومضى البلبلُ الغريبُ يطوف الروضَ حتى انزوى محيّا النهارِ
راح يأوي الى الغصون ولكن كيف يغفو مشرَّدُ الأفكارِ
كان في الروض فوق ما يتمنى من فنون الأثمار والأزهارِ
غير أنْ ليس فيه طير يغني أيّ روض يحلو بلا أطيارِ
وسرتْ فيه رعدة حين لم يلق سوى دارسٍ من الأوكار
وبقايا نواقفٍ رخم الموت عليها ، مخضّب الأظفارِ
أيّ خطبٍ أصابكمْ معشرَ الطير . . ؟ وماذا في الروض من أسرارِ ؟

طلع الفجر باسماً إثرَ ليلٍ دونه وحشةً كهوف المنيَّهْ
تتنزّى أشباحه صاخباتٍ عارياتٍ ، أكفُّها دمويَّهْ
ورُجومٌ تفري الغيوم وتهوي كل رجمٍ من الجحيم شظيَّهْ
وخسوف تحدَّث البدر فيه بفم الحوت منذراً برزيَّهْ
ذاك ليل قضى على البلبل المنكود لولا يدٌ تصدَّتْ عَليَّهْ
ملكه عرشها المشارق ، والتاج سناها ، أعظِمْ بها شرقيَّهْ
أنقذته فهبَّ يشدو شكوراً مرحاً ، هاتفاً لها بالتحيَّهْ :

مليكة النيِّراتْ آلهة المشرقَيْنْ
الناس في الغابراتْ إليك مدّوا اليديْنْ

وأحـــرقـــوا في الـصـــلاةْ   نـضـــارهـــم واللُّجَـيْـــنْ
وقـرَّبـوا الأعناقْ
زلفى تراقْ

يـــا لـيـــل إن الصبـــاحْ   رمـــز حـــيـــاة الـــورى
أنـفـــاسُـــه في الـبـــطاحْ   وروحـــه في الـــذرى
أمـــا رأيـــت الأقـــاحْ   أفـــاق بـــعـــد الـكـــرى
وضوِّع الآفاقْ
لمـا أفاقْ

هـنـــاك راعي الـغـنـــمْ   جـــذلان ، حـــيُّ الفـؤادْ
يـــرتـــع بـــين الأكـــم   يـهـــيـــم في كـــل وادْ
والـنـــايُ صـــبَّ الـنـغـــمْ   وبـــثّـــه في الـــوهـــادْ
كزفزة الأشواق
غِبَّ الفراقْ

*

نسي الـطيرُ همَّـه حـين غـنّى   قـلما يـسـتـقـرّ هـمُّ الـطروبِ
أَلِـف الـروض مفـرداً وتـولّى   عنـه في دوحـه شعـورُ الغـريبِ
مستقلٌّ في الملك ، لا من شريكٍ   طـامـعٍ يُتَّقى ، ولا من رقيبِ
مـطلقٌ ، يستـقـرُّ عنـد نمـيرٍ   تـارة او يـقيـل فـوق رطيبِ
وإذا (وردة) تـفـيضُ جمـالاً   تتهـادى مع النسيم اللعـوبِ

قـد حمتهـا أشـواكُهـا مشرعـاتٍ   حـولها دون عـابث أو غصـوبِ
تمنـح العـين حـين تبـدو وتخفى   من ضروب الاغراء كل عجيبِ

كـلُّ قلبٍ لـه هــواه. . ولكن   ليس يـدري متى يجيء زمـانُـهُ
وهـو إمّـا في ظـلِّ جفن كحيـل   كـامن السحر ، راقـد أفعـوانُهْ
أو وراء ابـتسـامـة حـلوةِ الثغـر ، نقـيّ ، مفـلّجٍ أقـحـوانُـهْ
أو عـلى الصدر يستـوي فـوق عـرشـين . . مكيناً مؤيـداً سلطانُـهْ
فـإذا كان لفحـةً من جحيم الـرجس . . أمـلى أحكـامَـه شيـطانُـهْ
وإذا هبَّ نفحـةً من نعيم الـطهـر . . قـامت ركينـة أركـانُـهْ
هـوذا الحب فليكن حـين يـأتيك بـريئـاً من كـل عيب مكـانُـهْ

صـارت الـوردة الخـليعـة للبـلبـل همّـاً ومـأربـاً يُـشـقـيـهِ
حسرتـا للغـريـر أصبـح كـربـاً   مـا يـلاقيـه من دلالٍ وتيـهِ
شـفَّـه السـهـدُ واعـتراهُ من   الحبّ سقـامٌ مبـرّحٌ يضـنيـهِ
من رآهـا وقـد تحـامـل يهفـو   نحوها ، كيف أعـرضت تغريـهِ
من رأى روحـه تسيـل نشيـداً   لاهبـاً ، لـوعـةُ الأسى تُـذكيـهِ
هي (حوّاء) ذلك الخلد فـاحذرْ   لا تـكـونـنَّ أنـت (آدمَ) فيـهِ
لا تهب قلبـك الكـريمَ لئيـماً   تحت رجليـه عـابثـاً يلقيـهِ

هـل يـرى في ظـلال وردتـه   الحمـراء سرّاً بـدا وكـان خفيّـا
هـل يـرى للطيـور فيهـا قلوبـاً   نـبـذتهـنَّ يـابسـاً وجـنـيَّـا
هـل يرى اليـوم ما الـذي جعل الـروض كئيباً من الـطيـور خليّـا
كم نـذيـرٍ بـدا لعينيـه حتّى   قام شخص الردى هنـاك سويّـا

سـامـه حـبُّـه شقـاء ولـكن   نعمـة الحب أن يكـون شقيّـا
والهـوى يطمس العيـون ويُلقي   في قـرار الأسـماع منـه دويًّـا
هكـذا يسلك المحب طـريق الخـوف أمنـاً ويحسب الـرشـد غيًّـا

من تـرى علَّم البخيلة حتى   سمحت أن يقبِّـل الـطير فـاهـا
لم يصـدِّقْ عينيـه حتى أطلَّتْ   وأطـالـت في ختله نجـواهـا
زلزل الروض عند ذلك بالألحان   فـاسمع روايتي عن صـداهـا :

نشيد البلبل للوردة

أنـشـدي يـا صَبـا   وارقصي يـا غـصـونْ
واسـقـني يـا نـدى   بـين لحظ الـعـيـونْ
فـيـك يـا وردتي   قـد حـلا لي الجـنـونْ
أنـا مـني الهـوى   أنت منـك الـفـتـونْ
أنشري ما طـوتْ   مـن غـرامي الـسـنـونْ
كـان في أضـلعـي   فَـرَوَتْـهُ الجـفـونْ
اقـربي مـن فـمـي   فـحـديـثـي شـجـونْ . .

*

ضمَّها الطير مطبقاً بجناحيه ، وهمَّت بثغره شفتاها
لم يُمتَّعْ بنشوة الحب حتى أشرعت شوكة تلظَّى شباها
اوردتها قلباً ، إذا رفَّ يوماً خافقاً للهوى فذاك هواها
كرعت في الدم البريء فلما عكسته وهَّاجةً وجنتاها
نظر الطير نظرةً أعقبتْها روحُه طيّ شهقة معناها :
وردة تبهر العيون ولكن كثرةُ الشمِّ قد أضاعتْ شذاها

١٩٣٤

يا قوم .. !

هَزِلَتْ قضيَّتُكم فلا لحمٌ هناك ولا دم
حتى العظام فقد تعرَّفَها الذئابُ وأُتخِموا
بَلِيَتْ قضيتكم فصارت هيكلاً يتهدَّمُ
ضَمَرَتْ إلى (بلديَّةٍ) فيها العداء تتحكَّمُ[1]
أوضاعُها مجهولةٌ ومصيرها لا يُعلَمُ
يا قوم ليس عدوُّكم ممّن يلين ويرحمُ
يا قوم ليس أمامكم إلّا الجلاء فحزِّموا..[2]

١٨ ـ ١ ـ ١٩٣٥

---

(١) كان الخصام بين الأحزاب العربية وقتئذ على أشده بسبب انتخابات البلديات في المدن الفلسطينية .

(٢) وقد وقع ذلك ويا للأسف . .

الإيمان الوطني
أو
جماعة (السار)

لیت لي من جماعة (السّار) قوماً يتفـانـون في خـلاص البـلادِ
أو كـإيمـانهم رسـوخـاً عميقـاً ثـابت الأصـل في قـرار الفؤادِ
مثـل هـذا الايمـان يَضْمَنُ لـلأوطـان عـزّاً ، ومثـل هـذا التفـادي
لا كإيمان من تـرى في فلسطين . . . قصـيرِ المدى ، كليـلِ الزنـادِ
يـتـداعـى إذا تـسلّطَ وعـدٌ أو وعيـدَ عليـه عنـد العـوادي
أو قطوبٌ . . . تخيب منه المساعي ، وابتسامٌ . . . تذوب فيه المبادي
لا تلمني إن لم أجد من وميضٍ لـرجاءٍ ما بـين هـذا السـوادِ

١٣ - ١ - ١٩٣٥

الشيخ المظفر(*)

أُنـظر لِمَـا فعـل (المـظفَّـر)، إنـه نَفَـعَ القضيةَ غـائبـاً لم يحضرِ! .
أحيى القلوب ، ودونهنَّ ودونَـه غرفُ الحديد ، وحامياتُ العسكرِ
عرضوا الكفالةَ والكـرامةَ عنـده عبثاً . . وهل عَرَضٌ يقاس بجوهرِ؟
ورأى التحيُّـزَ في التخـيُّرِ سُبّـةً ففـدى كرامتـه (بستّـة أشهُـرِ)
لم يخْـل ميـدانُ الجهـاد بسَجْنـه فلقـد رمـاه بقلبـه المتسعّـرِ
ولكم خلا بوجـود جيشٍ زاخرٍ يمشي إلـيـه بِخَـطْوِهِ المـتـعـثّرِ
إن (المظفَّر) من حـديدٍ جسمُـه فيما أرى ، وجسومُهم من سُكَّرِ!

١٩٣٥ - ١ - ٢٨

(*) الاشارة هنا الى الشيخ عبد القادر المظفر ، رحمه الله ، وانظر ص : ١٩٩ .

السماسرة . . !

أمّا سماسرةُ البلاد فعصبةٌ عارٌ على أهل البلاد بقاؤها
إبليسُ أعلن صاغراً إفلاسَه لما تحقّق عنده إغراؤها
يتنعّمون مُكرَّمين ، كأنما لنعيمهم عمَّ البلاد شقاؤها
همْ أهلُ نجدتها، وإن أنكرتَهم وهمو ، وأنفك راغم ، زعماؤها !!
وحُماتُها ، وبهم يتمّ خرابُها وعلى يديهمْ بَيْعُها وشراؤها
ومن العجائب إنْ كشفتَ قدورَهم أنَّ الجرائد ، بعضَهنَّ ، غطاؤها[1]
كيف الخلاص إذا النفوس تزاحمت أطماعُها ، وتدافعتْ أهواؤها

١ - ٢ - ١٩٣٥

(١) الإشارة الى بعض الجرائد المأجورة التي كانت تدافع عن فئة من السماسرة وتستر خيانتهم .

أيها الأقوياء(*)

قد شهدنا لعهدكم (بالعدالهْ) . .   وختمنا لجندكم بالبسالَهْ ! .
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً   كيف ننسى انتدابَه واحتلالَهْ . .
وخجلنا من (لطفكم) يوم قلتم :   وعدُ بلفور نافذٌ لا مَحالَهْ
كلُّ (أفضالكم) على الرأس والعين ، وليست في حاجة لدلالَهْ ! .
ولئن ساء حالُنا فكفانا   أنكم عندنا بأحسن حالَهْ . .
غير أن الطريق طالتْ علينا   وعليكم . . . فما لنا والاطالَهْ ؟!
أجلاءٌ عن البلاد تريدون فنجلو ، أم مَحْقنا والازالَهْ ؟[1]

٤ - ٢ - ١٩٣٥

(*) موجهة الى حكومة الانتداب البريطانية .

(١) ولقد تحقق الجلاء عن الديار . . .

زيادة الطِّين . . ! (*)

من كـان ينكر نـوحاً او سفينَتَـه فـإن نوحـاً بأمـر الله قدعـادا!!
حلَّ الوبـالُ «بعيبالٍ» فمـالَ به يـا هيبةَ الله إبـراقـاً وإرعـادا[1]
في جارفٍ كعجيج البحر طاغيةٍ أمـواجُهُ تحمـل الأسواقَ امـدادا
ولا تـزالُ من الـزلـزال بـاقيــةٌ تذكارُها يوقـد الأكبادَ إيقـادا[2]

منذ احتللتم وشؤْمُ العيش يرهقنا فقـراً وجوْراً وإتْعـاسـاً وإفسـاداً
بفضلكم قد طغى طوفانُ «هجرتهم» وكـان وعـداً تلقَّيناه إيعادا[3]
واليوم ، من شؤْمكم ، نُبلى بكارثةٍ هذا هو الطِّينُ والماءُ الذي زادا . .

١٠ ـ ٢ ـ ١٩٣٥

(*) بمناسبة الطوفان الذي طغى على مدينة نابلس وضواحيها سنة ١٩٣٥ .

(١) تقع مدينة نابلس بين جبلي : عيبال في الجهة الشمالية وجرزيم في الجهة الجنوبية .

(٢) هو الزلزال الذي وقع سنة ١٩٢٧ . وقـد خسرت فيه نـابلس الكثير من الأرواح والأموال .

(٣) إشارة الى الهجرة اليهودية الى فلسطين وإلى وعد بلفور .

إلــى ثقيـــل

أنت (كالاحتلال) زهـواً وكبراً　　أنت (كالانتداب) عجبـاً وتيها
أنت (كالهجرة) التي فـرضوهـا　　ليس من حيلة لقــومـك فيهــا
أنت أنكى من (بائع الارض) عندي　　أنت (أعـذاره) التي يدعيها
لـك وجه كـأنه وجـه (سمسـا　　ر) على شرط أن يكون وجيهـا
وجبـين مثـل (الجـريدة) لمــا　　لم تجـد كـاتبـاً عفيفـاً نــزيهــا
وحديث فيه ابتذال (احتجاج)　　كــلما نمــقــوه عــاد كــريهــا
جمعت فيـك (عصبة) للبـلايـا　　وأرى كــل أمــة تـشتـكـيـهــا

١٧ ـ ٢ ـ ١٩٣٥

تعزية البيت الهاشمي
الى روح المغفور له
الملك علي بن الحسين

بني هـاشم بـين المنـايـا وبينكم ... تراثٌ وما تغفو المنايا عن الوِتْـرِ
مضت (بأبي الأشبال) يستشهد الوغى ... ورایاته فيها على دول الغدرِ[1]
وما نكّبَتْ عن (شاكر) بعد (فيصلٍ) ... وغالت (علياً) واللواعج في الصدرِ[2]
مقامات أقيـالٍ تغيب شموسهـا ... وغـارات أبطال تُـرَدّ عن النصرِ
بني هـاشم لا أخمَدَتْ جمـراتِكم ... ولا أغمدت أسيافكم نوبُ الدهرِ
بأوجهكم تنفضُ حالكة الدُّجى ... وأيْمـانكم تـرفضُ مجفلةُ القـطرِ
ونيـطتْ (بعبـدالله) آمــالُ أمَّـةٍ ... وفي ظلّ (غازي) عَوْدُ أيامِها الغرِّ

١٩ ـ ٢ ـ ١٩٣٥

---

(١) (أبو الأشبال) هو المغفور له صاحب الجلالة الملك حسين بن علي بن عون .
(٢) (شاكر) هو المغفور له الأمير شاكر بن زيد من أبطال العرب .

غايتـــي

إن قـلبـي لـبـلادي لا لحـزبٍ أو زعـيـمِ
لم أبِـعْـهُ لـشـقـيـقٍ أو صـديـقٍ لي حميـمِ
لـيس مـني لـو أراه مـرةً غـيرَ سـليـمِ
ولـسـاني كـفـؤادي نـيَط منـه بـالـصَّميـمِ
وغـدي يُشبـه يـومي وحـديثـي كقـديمـي
لم أهَـبْ غـيظَ كـريـم لا ولا كـيْـدَ لئـيـمِ
غـايتي خـدمـةُ قـومي بـشقـائي أو نـعـيـمي

٢٥ - ٢ - ١٩٣٥

مناهج ..!

أمــامَــك أيُّهــا العــربيُّ يــومٌ تشيبُ لهــولـهِ ســودُ النـواصي
وأنت، كـما عهدتـك، لا تبـالي بغـير مظاهِـرِ العَبَثِ الرّخـاصِ
مصــيرك بـات يَلْمُسُــه الأداني وسـار حـديثُــهُ بـين الأقــاصي
فـلا رَحْبُ القصـور غـداً بباقٍ لساكنها ولا ضيق الخصاصِ (١)

لنـا خصمان: ذو حـوْلٍ وطولٍ وآخر ذو احتيالٍ واقتنـاصِ (٢)
تــواصــوْا بينهـم فـأتى وبــالاً وإذلالاً لــنــا ذاك التــواصي
منــاهـجُ لــلابـادة واضحــاتٌ وبــالحسنى تنفَّـذُ والــرصـاصِ

٣ - ٣ - ١٩٣٥

(١) لا حاجة الى القول إن ذلك كله قد تحقق ويا للعار ! .
(٢) الدولة البريطانية المنتدبة والصهيونية هما الخصمان .

أنتــم . . !(*)

أنتم (المخلصــون) للوطنيّــةْ   أنتمُ الحـاملون عبء القضيّةْ !!
أنتم العاملون من غير قـولٍ !!   بـارك الله في الزنـود القويّـةْ !!
(وبيـانٌ) منكم يعـادل جيشـاً   بمعـدَّات زحفـه الحـربيّـةْ . .
(واجتمـاعٌ) منكم يَـرُدُّ علينـا   غـابرَ المجـدِ من فتوح أُميّـةْ . .
وخـلاصُ البلادِ صـار على البـاب ؛ وجاءت أعيـادُه الـورديّـةْ . .
ما جَحَدنا (أفضالكم) ، غير أنّا   لم تـزل في نفـوسنـا أُمنيَّــةْ :
في يـدينا بقيّــةٌ من بـلادٍ . .   فـاستريحوا كيـلا تـطير البقيَّـةْ

١٠ - ٣ - ١٩٣٥

(*) موجهة الى الزعماء الفلسطينيين .

لِمَن الرّبيع . . ؟

أرأيتَ مملكـةَ الـربيـعِ   يُعيـدُ رونَقَها الـربيـع
ويُتَـوَّجُ الـراعـي بهـا   مِلِكـاً رعيّتُه القـطيـعُ
الـذئبُ يَـرْهَبُـه ويلثمُ   كفَّـه الحمـلُ الـوديـعُ
آذار في رَحْـبِ الفـضـاءِ   سفـيرُ دولـتـه الـرفيـع
هـاتيـك ألـوانٌ تشـعُّ ، وتـلكَ ألحـانٌ تَـشيـعُ
لمن الـربيعُ وطيبُـه ؟ وهـواه ، والـزَّهَـرُ البـديـعُ ؟ .
فـرحُ الـربيـعِ لمنْ لـه   أرضٌ ، وليس لمن يبيعُ . .

١٦ - ٣ - ١٩٣٥

يا حسرتا . .

يا حسرتا، ماذا دهى أهل الحمى فـالعيشُ ذلٌّ ، والمصير بَـوار
أرأيتَ أيَّ كـرامـة كـانت لهمْ واليوم كيف الى الاهانـة صاروا
سَهُلَ الهوان على النفوس فلم يعد للجرح من ألمٍ . . . وخفَّ العارُ
همدتْ عزائمهُم ، فلو شبَّت لظى لتثـيرَهـا فيهم ، فليس تُـثـارُ
الـظالمُ الباغي يسـوس أُمـورَهم واللـصُّ والجاسـوسُ والسمسارُ

يا من تعلّل بالسياسة . . . ظنّها لَـطُفَتْ ، وَلاَنَ عَصِيُّهـا الجبّـارُ
ما لطفُها؟ ما اللين ذاك؟ وكلهم مستعمـرون وكلُّـه استـعمـارُ

٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٣٥

١٠٠٠ (*)

أرى عـدداً في الشؤم لا كثلاثـةٍ وعشر، ولكن فـاقَه في المصائبِ
هو (الألفُ) . . لم تعرف فلسطين ضربةً أشدَّ وأنكى منه يوماً لضارب
يهاجر ألفٌ . . ثم ألفٌ مهرباً . . ويدخل ألفٌ سائحاً، غير آيبِ . .
وألف (جـوازٍ)، ثم ألف وسيلةٍ لتسهيل ما يلقونه من مصـاعبِ
وفي البحر آلافٌ . . كأنَّ عبـابَه وأمـواجَه مشحـونةٌ في المـراكبِ

*

بني وطني، هل يقظةٌ بعد رقدةٍ وهل من شعاعٍ بين تلك الغياهبِ
فـوالله ما أدري، ولليـأس هبّـةٌ أُنادي (أميناً) أمْ أهيب (براغبِ)[1]

٢٧ - ٣ - ١٩٣٥

(*) موضوع هذه القصيدة هو هجرة اليهود الى فلسطين بموافقة الحكومة البريطانية المنتدبة وبالطرق غير المشروعة .

(١) الاشارة الى سماحة الحاج أمين الحسيني وإلى راغب باشا النشاشيبي رحمهما الله ، وكانا زعيمي الحزبين المتزاحمين في فلسطين .

نِعمَة . . !(*)

يقولون في بـيروت : أنتم بنعمةٍ ... تبيعونهم تُرْباً ، فيعطونكم تـبرا
شقيقتَنـا مهلاً ! متى كـان نعمةً ... هلاكُ أُلوف الناس في واحدٍ أثرى
وبــاذلُ هـذا المــال يعلم أنّــه ... يسلِّم بـاليمنى الى يـده اليسرى
على أنها أوطاننا. . ما كنوزُهم؟ ... وأموالُهم؟ حتى تُساوَى بها قَدْرا
ولو كان قومي أهلَ بأسٍ ونخوةٍ ... إذنْ أصبحتْ للطامعين بها قـبرا
ولكنهم قد آثروا السهـلَ مركبـاً ... نسيِّره الأهواءُ واجتنبـوا الوعـرا
ومــا حسرتي إلاّ عـــلى متعفِّف ... يقوم (لوجه الله) بالنهضة الكبرى

١١ - ٤ - ١٩٣٥

(*) كان اليهود الصهاينة يشترون الأراضي في فلسطين بأسعار عالية ، دون ان يفطن العرب في فلسطين وفي الأقطار المجاورة الى أنهم إنما كانوا يبيعون وطناً لا أرضاً . وكان في بيروت من يحسد أهل فلسطين على ذلك الثراء الزائف .

أيتها الحكومة(*)

علام احتراسُكِ ؟ لا أعلمُ . . وفيم احتشادُكِ ؟ لا أفهمُ . .
وهل في فلسطين ما ترهبين سوى أنه اجتمع الموسمُ :
جوادٌ براكبه عاثرٌ . . وأين له الفارس المُعْلَمُ ؟ .
وسيف بحامله ساخرٌ . . وأين له الكفُّ والمِعْصَمُ ؟ .
وهذا بتهديده يدَّعي وذاك بتنديده يَزْعَمُ . .
معازيلُ إلا من العنعنات مشاغيلُ عن كل ما يُكْرِمُ
مظاهرُ ، ليس بِها ما يُخيف ولكنما خاف مَنْ يَظْلِمُ . .

٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٣٥

(*) يقيم المسلمون في القدس كل عام في عيد الفصح موسماً يسمى (موسم النبي موسى) تحضره الجماهير من المدن والقرى المجاورة . وكانت الحكومة المنتدبة تحتاط لهذا الموسم وتحشد له قوى الأمن خشية وقوع اصطدام بين الجموع العربية واليهود .

رثاء الشيخ سعيد الكرمي(*)

أيها الموت ، أيّ مجلس أنسٍ ووقارٍ عَطّلْتَ بعد سعيدِ
أدبٌ كالرياض في الحسن والطيب قريبٌ جناه للمستفيدِ
وكأني بعلمه البحر عمقاً واتساعاً، تغشاه عذب الورودِ
ونفوس الجلاّس تأنف ، إلاّ عنده ، أن تكون رهن القيودِ
بغزير من علمه ومفيدٍ وقريب من حفظه وبعيد
وغريبٍ من أُنسه وعجيبٍ وطريفٍ من ظرفه وتليد
جامع الفضل في الرواية والشعر الى الأصمعيّ طبع الوليدِ(١)
سلف صالح ، بقية قومٍ بارك الله عهدهم في العهودِ
عرفوا الخير ، أكرموا فاعليه جهلوا اللؤم جهلهم للجحودِ
وإذا ما تجرَّدوا لعداءٍ وقفوا بالعداء عند حدودِ . .
ليت قومي تخلّقوا بكريم الخلق هذا ، عند الخصام الشديدِ

(*) هو المرحوم الشيخ سعيد الكرمي قاضي قضاة إمارة شرق الأردن ومن زعماء فلسطين ، وقد حكم عليه السفاح جمال باشا بالإعدام بعد أن ثبت عليه العمل لمصلحة القضية العربية ثم خفض حكم الاعدام الى السجن المؤبد وبقي رحمه الله مسجوناً في سجن دمشق حتى زوال الحكم العثماني عن البلاد . هذا وكان المرحوم الشيخ سعيد الكرمي من أدباء فلسطين المعروفين وكان راوية للشعر .

(١) الوليد هو الشاعر البحتري المشهور .

مـا أشـدَّ افتقـارنـا لسمـوّ الخلق في هـذه الليـالي الـسـودِ

مـا لكـم بعضكـم يمـزق بعضـاً   أفـرغتم من العـدوّ اللدود ؟[1]

اذهبـوا في البلاد طـولاً وعرضـاً   وانظروا ما لخصمكم من جهودِ

والمَسـوا باليـدين صرحـاً منيعـاً   شـاد أركـانـه بعـزم وطيـدِ

شـاده فـوق مجـدكم ، وبنـاه   مشمخـراً عـلى رفـات الجـدودِ

كـل هذا استفـاده بـين فـوضى   وشـقـاق ، وذلـة ، وهـجـودِ

واشتغـالٍ بـالـتُّرَّهـاتِ وحبٍّ الـذات عن نـافـع عميم مجيـدِ

شـهـد الله أن تـلك حـيـاة   فُضِّلَتْ فـوقهـا حيـاة العبيـدِ

أصبـح المـوت نعمـةً يُحْسَـدُ المَيْتُ عليهـا مـوسّـداً في الصعيـدِ

وسعيـد من نال مثـل (سعيدٍ)   بـعـد دار الفـنـاء دار الخـلودِ

فهنيئـاً لـك الـنعيـم مقيـماً   أنت فيـه جـارُ العـزيـز الحميـدِ

۱۹۳٥ - ٤ - ۳۰

---

(۱) كانت النعرات الحزبية في فلسطين حينذاك على أشدها .

القــدس(*)

دار الزعامـة والأحزاب كـان لنا — قضيـةٌ فيـك، ضيّعنـا أمـانيهــا
هل تذكرين وقد جاءتكِ نـاشئةً — غنيــةً دونها الأرواحُ تَـفْــديهــا
تَـوَدُّ لو وَجَـدَتْ يومـاً أخـا ثقـةٍ — لـديـكِ يُـوسِعُهـا بِـرّاً ويحميهـا
ما كان كفؤاً عفيفَ النفسِ كافلُها — ولا أبيّــاً حميَّ الأنـف راعيـهــا
ولا أفادتْ سوى الأحقاد تُضرمها — فوق البلاد (زعاماتٌ) وتذكيها
ولم تبـالِ بمـا تلقي لهـا حـطبـاً — ولا بـأيّ كـرام النـاس تـرميهـا
قضيـةٌ نبـذوهــا بعـدمــا قُتِلَتْ — مـا ضرَّ لو فتحـوا قبراً يـواريهـا

١٠ ـ ٥ ـ ١٩٣٥

(*) بمناسبة التطاحن الحزبي الذي تفشى في فلسطين حينذاك . وكانت القدس ، بوصفها عاصمة البلاد ، مركز ذلك التطاحن .

شريعة الاستقلال

يـومٌ بـداجيـة الـزَّمـان ضيـاءُ   وبَهـاؤه لـلخـافـقـيْـن بهـاءُ
يُـزجي النسيمَ به هجيرٌ لافـحٌ   عجبـاً !! وتبسط ظلَّه الصحراءُ
ويـرفُّ من شظف المعيشـة لينها   ويسيـل من وهج السَّراب الماءُ
وإذا الرشادُ من الضلالة والعمى   ومن الشـقـاق تـآلف وإخـاءُ
وإذا من الفـوضى نـظام معجـز   وقـيـادة وسـيـادة ودهـاءُ
وإذا الخيام قصور أملاك الورى   وإذا القفـار دمشق والـزوراءُ
وعـلى ربـوع الصـين كـبّر فيلقٌ   وبـأرض قسـطنـطين رفَّ لـواءُ
تلك الخـوارق إن طلبت أدلـةً   ثـبـتَ الـبراقُ بهـنَّ والاسراءُ
نـزل الكتاب عـلى النبيّ محمـدٍ   ما يصنع الخـطباءُ والشعـراء !!
لـو لم يكن وحيَ السـماءِ ونـورَه   لمحتـه عـارضـةٌ لـه وذكـاءُ
سَحَرَ القلوبَ فراح يقذفها عـلى   نـار الجهـاد اولئـك البسـلاءُ
هيهات ما نكصوا على أعقـابهم   حتى انجلت عنهم وهم شهـداءُ
حـريّـةٌ آيُ الكتـاب وسـؤددٌ   وعـزيمـة وكـرامـة وإبـاءُ

*

نـاديت قومي لا أُخصِّصُ مسلماً   أبنـاء يعرب في الخـطوب سـواءُ
ان الكتـابَ شريعةُ استقـلالكم   فتـدبَّـروه وأنتـم الخلفـاءُ . . .

١٦ ـ ٦ ـ ١٩٣٥

إلى الممرضة الروسيّة[1] . .

يـا حلوة العينين يـا قـاسيـهْ　　سرعـان ما أصبحت لي نـاسيـهْ
أمـا أنـا فـلسـت أنسى يـداً　　نـاعـمـةً تجـود بـالعـافيـهْ
لئن شفى الـطب ضنىً عارضـاً　　فـمهـجتي أنـت لها شـافيـهْ
وإبـرة الآسي عـلى نـفعـهـا　　أفعـل منهـا نـظرةٌ سـاجيـهْ
تـبعثهـا عـينـاكِ في أضـلعي　　فـيـاضـةً بعـطفـهـا ، آسيـهْ
تـلأم قلبـاً نَكَـأَتْ جـرحَـه　　فـعـاد يهـوَى مـرة ثـانيـهْ
وتـطفىء النـار التي حُـرِّكَتْ　　فـأرجـعتـهـا زفـرةٌ حـاميـهْ

قـيصرة الحسـن ألا اشـتـكـي　　إليـك من جـورك يـا طاغيـه
هـل كـان نسيـانـك لي هفـوةً　　ام خـطّة أشْراكُـهـا خـافيـهْ
سيـدتي ، ذنبـك مهـما يكـن　　تغفـره أعـذارك الواهيـهْ . . .

حزيران ١٩٣٥

(١) اسمها كاترين، وكانت بنابلس ، تتولى معالجة ابراهيم حين كان يتردد على الطبيب هنالك بسبب قرحة في معدته .

رثاء أبي المكارم
عبد المحسن الكاظمي

سَلْ جنة الشعر ما ألوى بدوحتها حتى خلت من ظلال الحسن والـطِيب
ومن تصدَّى يردُّ السيلَ مزدحماً لمـا تحـدَّر من شمّ الأهــاضيبِ
ومن أغار على تلك الخيام ضحىً يبيح تقويضهـا من بعد تـطنيبِ
هي المنيــة مـا تنفــكّ سـالبــةً فــما تغـادر حيّـاً غـير مسلوبِ
حقُّ العروبة ان تأسى لشاعـرها وتذرف الدمـع منهلاً بمسكـوبِ
وترسل الـزفرة الحرّى مصدّعـة ضلوع كل عميد القلب مكروبِ
من للقريض عريقـاً في عروبتـه يأتي بسحرين من معنى وتركيبِ
ومن لغـرّ القـوافي وهي مشرقـة « كأوجــه البدويات الرَّعابيب »
(أبا المكارم) قم في الحفل مرتجلاً مهذَّباتـك لم تصقل بتهـذيبِ[1]
وأضْرِم النـارَ ان القومَ هـامـدة قلوبُهمْ ، ذلَّ قلبٌ غير مشبوبِ
وانفـخ إباءَك في آنـافهم غضبـاً فقـد تُحَـرِّكُ أصنــامَ المحـاريبِ
تمكن الذّلّ من قومي فلا عجب ألَّا يبــالـوا بتقــريـع وتــأنيبِ
ما أشرفَ العُذْرَ لو أن الوغى نثرتْ أشْلاءَهم بين مطعون ومضروبِ
لكن دهتهم أساليب العداة وهم ساهون لاهون عن تلك الأساليبِ

---

(١) كان الشاعر الكاظمي ـ رحمه الله ـ يرتجل الشعر ارتجالا كلما عنّ له .

ويـقـنـعــون بمـبــذولٍ يـلوِّحـهُ مستعمروهـــم بتبعيـد وتقريـبِ
كـأنهم لم يُـشيَّــدْ مجـد أولهـم على السيوف وأطـراف الأنابيبِ
يا رائداً كلَّ أرض أهلها عـربٌ يجتازها نِضْـو تصعيد وتصـويبِ
ومنشـداً عنـدهم علماً ومعـرفـةً بحـالهم بـين إدلاج وتـأويبِ
هل جئْتَ منهم أناساً عيشهم رغدٌ أم هل نزلت بقطر غير منكوبِ
أم أيّ راعٍ بـلا ذئبٍ يجـاوره إن لم تجد راعياً شراً من الذيبِ

تبـوّأ الكـاظميُّ الخلدَ منــزلـةً يلقى من الله فيها خيرَ تـرحيبِ
(أبا المكارم) أشْرِف من علاك وقلْ أرى فلسطين أم دنيا الأعاجيبِ
وانظر الينا وسرِّح في الحمى بصراً عن الهدى لم يكن يوماً بمحجوبِ
تجد قوياً وفى وعدَ الـدخيل ولم يكن لنـا منه إلا وعـد عرقـوبِ
ومـرَّ سبـع وعشر في البـلاد لـه وحكمـه مَزْج تـرهيب وتـرغيبِ
قـد تنتهي هذه الـدنيا وفي يـده مصـيرنا رهن تـدريب وتجـريبِ
حال أرى شرَّها في الناس منتشراً وخيرَهــا للمطايــا والمحـاسيبِ

هل في فلسطين بعد البؤس من دعةٍ أم للزمـان ابتسام بعـد تقـطيبِ
كم حقق العزم والاعجال من أملٍ وخـاب قصد بـإمهـالٍ وتقليبِ

١٧ - ٦ - ١٩٣٥

ناشدتكِ الإسلام
إلى فوز . . [1]

يـا (فَوْزُ) ويْـلي منكِ يـا قاسيـهْ عــذَّبتني ظُلماً، كفى مـا بيـهْ
أراكِ في الـيـوم ثـلاثـاً ولا أنَـالُ إلّا النّـظرةَ الجـافيـهْ
والله لـو تـدرين مـا قصتي مـا كنتِ عن حالي إذنْ راضيهْ
بـل كنت لي عوناً عـلى غـربتي وكـنـتِ لي راحـمـةً آسـيـهْ
مـرضْـتِ أيّـامـاً ولمْ تـطلُعي ظللتُ فيـهـا مهـجتي دامـيـهْ
أسـأل عنـكِ النّـاسَ مستخبـراً ولهـانَ أدعـو لـكِ بـالعـافيهْ
حـتّى إذا أبـللتِ يـا مـنـيـتي خـفّـفَ عـنّي الله بـلوائـيـهْ
بشراكَ يـا قلبي فقـد أصبحتْ تـغـدو الى مَلْعبِـهـا ثـانـيـهْ
مـليكـةٌ مـا بـين أتـرابهـا يـا ليتني كنتُ مع الحـاشيـهْ
يـا وردةً تـرسـلُ انـوارَهـا فيْضـاً على الكونْ من الـرابيـهْ
يـا ربّـةَ المنـديـل مِنْ تحتِـه نَبْعَـةُ حسنٍ ثَـرَّةٌ صـافيـهْ
نـاشـدتُك الاسـلامَ لا تقتـلي أخـاك في دينِـكِ يـا قـاسيـهْ

تموز ١٩٣٥

---

(١) يرجح الدكتور عمر فروخ (شاعران معاصران : ٩٧) ان تكون إحدى المصطافات في بحمدون لأن المقطوعة نشرت في ٧ تموز ١٩٣٥ ، وكان ابراهيم حينئذ في بحمدون .

إلى ذات السِّوار

هبيني لا اسميكِ ولا أظهر حُبّيكِ
وتُلقى بيننا الحجب فأحيا لا أُلاقيكِ
هبي ما شئتِ ؛ ان القلب ما انفكَّ يناجيكِ
ويرتاح الى النجوى وفي النجوى يحييكِ
ويطغى الليلُ والشوقُ فيدعوك ويبكيكِ
ويستأنس بالصبح لِمَا يرويه عن فيكِ

١٩٣٥

مرابع الخلود(*)
توطئـــة

لمـا انجلتْ من حُجُب الـزَّمـانِ مـرابـعُ الخلـود والمغـانـي
ضاق على النفسِ الكيانُ الفاني وعـالمٌ يَـغَصُّ بـالأشـجـانِ
ويفجعُ القلوبَ بالأماني

لاحَ لهـا من الخلود مـا استـترْ وامتلك السَّمـعَ عليهـا والبصرْ
وامتزجتْ مع النسيمِ في السَّحَرْ وارتفعتْ عـلى أشِعّـةِ القمـرْ
شفّافةً عُلْويةَ الألحانِ

ولم يَـطُلْ بهـا المـدى حتى دنـا أبعـدُ مـا تـرجـوه من غُـرِّ المنى
هنـا هيـاكـلُ الخلودِ ، وهنـا كلُّ عظيمِ القـدْرِ وضّاح السَّنـا
فانطلقتْ مُرْسَلَةَ العِنانِ

(*) ألقيت في حفلة الذكرى الألفية للمتنبي وهي الحفلة التي أقامتها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الاميركية ببيروت في ٣١ أيار سنة ١٩٣٥ . وكان خطباء الحفلة الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، الاستاذ معروف الرصافي ، الاستاذ سامي الكيالي ، الاستاذ شفيق جبري ، الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، الاستاذ انيس الخوري المقدسي .

الخالـــدون

طـافتْ عـلى الملوكِ والقيـاصـرهْ   فـانْقَلَبَتْ تقـولُ وهي سـاخِـرَهْ
أضخمكم أسـطورة أو نـادرهْ   وإنمـا الخـلـود لـلعـبـاقِـره
جبابر النفوسِ والأذهانِ

لـلأنـبيـاءِ أرفـعُ المـقـامِ   يُحَـفُّ بـالجـلال والاكـرامِ
وعـنـدهـم روائـعُ الالهـام   فيهـا الهـدى والنُّـورُ لـلأنـامِ
وغايةُ الكمالِ في الايمانِ

والشهـداءُ بعـدهم في المـرتبَـهْ   أهـلُ الفدى في الأممِ المعـذَّبَـهْ
صَبَّ الشـهيـد دمَـهُ وقـرَّبَـهْ   يقـولُ : إنَّ المهـجَ المخضَّبَـهْ
أدفع للضَّيْمِ عن الأوطانِ

واجتمـع السِّحْـرُ الى الفتـونِ   بـين رُبى الخـلودِ والـعـيـونِ
قـرائحٌ من جـوهـرٍ مكنـونِ   تَشِـعُّ بـالعـلـومِ والفـنـونِ
وتغمرُ العالَمَ بالاحسانِ

أولئك الـشمـوسُ والـبـدورُ   دائـمـة الاشراقِ لا تـغـورُ
أفـلاكها ، مـا كرَّت الـدهورُ ،   الحـبُّ والجـمـالُ والـسـرورُ
والخيرُ والحكمةُ في الانسانِ

في حضرة المتنبي

أصغَيْتُ للنفس تقولُ : ما ليَهْ طوَّفْتُ في الخلود كلَّ ناحيَهْ
فما وجدتُ مثلَ تلك الرابيَهْ مشرفةً على الوجودِ عاليَهْ
عاتيةً وطيدةَ الأركانِ

رأيت ظِلاً شاملاً ظليلا يضُمُّ صَرْحاً ماثِلاً جليلا
فارتدَّ طرفي عنهما كليلا اذا طلبتُ لهما تمثيلا
« فالحدَثُ الحمراءُ » في « بوَّانِ »

رأيتُ بيضاً يعتنقْنَ سُمْرا هُنَّ النُّجومُ يأتلِقْنَ زُهْرا
في يد كلِّ فارسٍ أغَرَّا يلتمسُ المجدَ الأثيلَ قَسْرا
والمجدُ لن يكونَ للجبانِ

رأيت غيداً من أعاريبِ الفلا حُمْرَ الجلابيبِ غرائبَ الحلى
خُلِقْنَ من حُسْنٍ وفتنةٍ فلا تَطْرِيَةً ترى ولا تجمُّلا
وهكذا فلتكن الغواني

ذاك الذي وقفْنَ عن جنبيْهِ خِلْتُ ملوكَ الأرض في بُرْدَيْهِ
أو الأنامَ تحت أخْمَصَيْهِ قِيلَ اسْجدي خاشعةً لديْهِ
(فالمتنبي) سيِّدُ المكانِ

إن كنتِ ممّنْ يصحَبُ الكتابا ويألفُ الطِّعانَ والضِّرابا

ويهجرُ النديمَ والشرابا جئتِ أعزَّ خالدٍ جَنابا
وفزتِ بالاكرام والأمانِ

نَكَسْتُ رأسي ودنوتُ أعْثُرُ فأين كسرى هيبةً وقيصرُ
بين يدَيْهِ أسدٌ غَضَنْفَرُ عليه من ضربةِ سَوْطٍ أثرُ
يُغْني « ابنَ عمَّارٍ » عن البيانِ

كافور خالد ! ؟

ومُضْحِكٌ مُشقَّقُ الكعبيْنِ أسْوَدُ ، لابيٌّ ، بمشفريْنِ
عهِدْتُهُ يُشَدُّ بالأُذْنَينِ وقَدْرُهُ يُرَدُّ بالفِلْسَيْنِ
يومَ تَرُوجُ سِلْعَةُ الخِصْيانِ

كان لمصرَ سُبَّةً وعارا يومَ أثارَ الشاعرَ الجبّارا
لم أدرِ هل كان الهجاءُ نارا أم عاصفاً هُيّجَ أمْ تيّارا
أمْ شُقَّ ذاكَ الصَّدرُ عن بركانِ

والحسد خالد ؟!

وَثَمَّ وحشٌ فمُهُ دامي الزَّبَدْ في جيدِهِ حَبْلٌ غليظٌ من مَسَدْ
قلتُ : ألا أسْألُ ما هذا الجسَدْ؟ قال: بلى؛ هذا غريمنا الحسَدْ .
مُرْتَبِكُ الأخْلاطِ في شيْطانِ

رأيتُهُ يطْمِسُ عينيْه العَمى سعيرُ قلبِه طغى عليهما
قلتُ : وهذا خالد ايضاً؟ فما أعجبَ أنْ يبقى الأذى ويسلما
وينعمَ الشرُّ بعُمرٍ ثانِ !!

تبسَّمَ الشاعرُ ، ثُمَّ ردَّدا في الوحشِ نظرةً كأنّها الرَّدى
قال : لئن نَكَّدَ عيشي بالعدى حتى دعوتُ ولدي (مُحَسَّدا)
فإنّه خُلِّدَ في الهوانِ

تقدَّمي ، يا نفسُ ، واسأليني عن أثر المفتاحِ في جبيني
بدَّلني بكيدِه اللَّعينِ ذُلَّ الوِجار من حِمى العرينِ
حمى الملوكِ من (بني حمدانِ)

وما ابْتلى الحسودُ إلا جَوْهرا يتمُّ نوراً ويطيبُ عُنْصرا
والفضلُ لا بدَّ له أنْ يظهرا تُحدِّث الأعْصُرُ عنه الأعْصرا
وللحسودِ غمْرَةُ النِّسْيانِ .

*

خاتمة

عودي إلى دنياكِ ، دنيا العَرَبِ بجذوَةٍ تُضْرِمُ رُوحَ الأدبِ
وتغمرُ الشرقَ بهذا اللّهبِ قد يستردُّ الحقَّ بعضُ الكتبِ
وقد يكونُ المجدُ في ديوانِ

١٩٣٥

رثاء أديب منصور(*)

عـرفتُ (أديبـاً) فـأجبتـه ... وسرعـان ما غـاب هذا الحبيبْ
ويـا لهـفي ، الآن كـلّمتـه ... وفي لحـظةٍ بـات لا يستجيـبْ
ويـا حسرتي لـلرَّدى ، مـزَّقتْ ... يـداه رداءَ الشبـاب الـقشيـبْ
وكـان نضيـراً عـلى منكبيـه ... فـأصبح منـه سليباً خضيبْ
دعـانـي الـبكـاء فلبّيـتـه ... جـزوعـاً عليـه بـدمـع صبيبْ
وسِـرْتُ بمـوكبـه خـاشعـاً ... أُشيِّعـه بيـن حفـلٍ مـهيـبْ
تُـفيـضُ أكـاليـلهُ طـيبهـا ... ودون شـمائـله كـلُّ طـيـبْ
وعـدت عن القبر في العـائـدين ... أمـامي نحيبٌ وخلفي نـحيـبْ
وفي كـل نـفسٍ لـه لـوعـة ... وفي كـل قـلب عـليـه لهيـبْ
عـرفت (أديباً) حميـد الخصال ... وأحببتُ فيـه الـذكيَّ اللبيـبْ
وروحاً على القلب مثـل النسيم ... يهـبُّ فينعش قـلب الـكئيـبْ
وكـان قـريـراً بـآمـالـه ... فـأدعـو لـه الله ألاَّ تخيـبْ
وكـان يـراهـا بعـين الأريب ... ولكنَّ للدهـر عـينَ الـرقيـبْ

(*) كان أديب منصور من موظفي محطة الاذاعة في القدس وكان يعمل مع ابراهيم . وفي أحد الأيام وضع مجرمون من الارهابيين اليهود قنبلة موقوتة في مكاتب الاذاعة فانفجرت القنبلة مودية بحياة أديب منصور . فرثاه ابراهيم بهذه القصيدة وألقاها في حفلة الأربعين التي أقيمت في جمعية الشبان المسيحية في القدس تخليداً لذكرى أديب رحمه الله .

ويكــلأهـا بـالنشـاط العجيـب ... وللدهر في النّاس شأن عجيبْ
تنــاول ذاك الفـؤادَ الخصيـب ... فـأصبح وهــو الفؤاد الجـديبْ
وحــطّــم بــنــيــانَ آمــالــه ... بـكفّـيْ لئيـمٍ خـؤون رهـيـبْ

عـزاءً لكـم ، أيها الأقـربــون ... جميــلاً لنــا فيــه أوفى نصـيبْ
لئن بــاعـدت رحـمٌ بيـنـنـا ... لقـد كان فينـا الحبيب القـريبْ
بنــا مـا بكمْ من غليـل الأسى ... بقلب ألــحَّ عـليــه الـوجيـبْ
ومـرَّ بنـا يــومـه (الأربعــون) ... يجـدِّد لي ذكـر يــوم عصيـبْ
فـقـدتُ فـتىً كــان في أُسرتي ... ملاذ القريب وعـوْن الغريبْ[1]
أبيّاً على الضيم ، عَفَّ اليدين، ... نـقـيَّ السَّريـرة مما يـريـبْ
فذاك ابن عمٍ ، وهذا صـديق ... وذاك (عفيف)، وهذا (أديبْ)

١١ أيلول ١٩٣٩

(١) الاشارة الى ابن العم عفيف طوقان مهندس لواء القدس رحمه الله ، وقد قتل بسبب انفجار لغم ارضي تحت سيارته وهو مسافر على طريق بيت جبرين في لواء الخليل .

بلا عنــوان . . !

لم تــزل تهجرني منــذ سنــين   ليتـني أنعـم يــومــاً بــرضــاكْ

كـنـتُ في روضٍ أنــيـق فــإذا   بـحـبـيـبــين مـن الـطـير هنــاكْ
إن همــا طــارا يكــونــان معــاً   ومــعــاً لـفَّـهـما دوح الأراكْ
ليتنــا يــا هــاجــري مثـلهـــما   في تعــاطينا الهـوى ، لكن أراكْ

لم تــزل تهجرني منــذ سنــينْ   ليتـني أنعـمُ يــومــاً بــرضــاكْ

ههنـا نــرجــســةٌ قـبَّـلهــا   عــاشق هــام بهــا يُـدعى نسيمْ
مـنـحـتــه طيبهــا يـشفـي بــه   كـلَّ ذي قلب من الهجر سقيمْ
ليتنــا يــا هــاجــري مثـلهـــما   في تسـاقينـا الهـوى، لكن أراكْ

لم تــزل تهجرني منــذ سنــينْ   ليتـني أنعـمُ يــومــاً بــرضــاكْ

في ظـلام الليّـل لاحت نجمــةٌ   وهفـا نجـم اليـهــا مُـطْرِقــا
يــا حـبيـب الــروح هــا إنّهما   في عتــاب وانقضى ، فـاعتنقــا
ليتنــا يــا هــاجــري مثـلهـــما   في تشـاكينـا الهـوى، لكن أراكْ

لم تــزل تهجرني منــذ سنــينْ   ليتـني أنعـم يــومــاً بــرضــاكْ

شمـل الكونَ الـرضى حتى غدا وهــو طـيـب وجمــال وصـفــا
يا مَلولَ القلب ما في الكون مِنْ عــاشـقــين اثنــين إلاَّ ائـتلفـا
فمتى يا هاجري منك الـرضى؟ ومتى يصفـو الهـوى؟ لكن أراكْ
لم تـزل تهجـرني منـذ سنـين ليتـني أنعـم يـومـاً بـرضــاكْ

١٩٤٠

قصائد ومقطعات
غير مؤرخة

اقتباسات من القرآن[1]

- ١ -

مسهدون وهــم حيرى محاجرهم تنـوطهـا بنجـوم الليـل أسبـابُ
ان يخبُ للحب في اكبادهم قبس سقتهمُ من شراب المهل اكواب
وكيف يبغون عن نار الهوى حولاً (وعندهم قاصرات الطرف اتـراب)

- ٢ -

أنـــا بـــالـــرحمـــن مـــن حـــورٍ يـــكسرن جـــفـــونـــا
دارجـــات كـــحـــمام الايـــك يـــبـــهـــرن الـــعـــيـــونـــا
قـــلت مـــن هـــنّ وقَـــوْلي كـــان جهـــلاً وجـــنـــونـــا
فـــانـــبرت منهـــن حـــســـنـــاء فـــأذكـــتـــني شـــجـــونـــا
وأجـــابـــتـــني ولم أدرِ أجـــدّاً أم مجُـــونـــا
نـــحن مـــن سُمـــنـــاك وجـــداً (وفـــتـــنّـــاك فـــتـــونـــا)

(١) أرجح أنها مما نظم سنة ١٩٢٩ .

- ٣ -

كبدي من فراقها بين بينا فمتى موعدُ اللقاء وأينا
ربّ طير مهاجر غاب عنا شاقه وكره فعاد الينا
كنت تبكين لو رأيت بكائي وقديماً أبكى جميلَ بثينا
غير اني ألفت همي وغمّي (فكلي واشربي وقري عينا)

عتاب الى شعراء مصر[1]

روضنا من رياضكم فينان   وثرانا من نيلكم ريانُ
وهوانا ـ لو تقدرون هوانا ـ   كلٌّ قلب منه لكم ملآن
وبرغم العدا اواصر قربانا   وثاق لم تبلها الازمان
وعيون يقظى روانٍ اليكم   دمعها في مصابكم لا يصان
ان سررتم ففي فلسطين عيد   او حزنتم لم تَعْدُها الاحزان
قد رأوا بالقناة ان يقطعونا   فإذا الدين جسرها واللسان
وإذا بالقلوب تهفو على النيلَ ظِماء يودي بها الخفقان
أحسن الله وردكم ، هل يُغيض النيلَ كاسٌ يحيا بها ظمآن
جئتكم عاتباً بلابلَ مصر :   بلبل الروض عتبه ألحان
رفرف الشعر فوقكم بجناحيه   وفي ساحكم غذاه البيان
وتسامى صرح العروبة في مصرَ   وهل غيركم له اركان
كم بلاد تهزكم ليس فيها   لكمُ جيرة ولا إخوان
خطبنا لا يهز (شوقي) ولكن   جاء روما فهزه الرومان
خطبنا لا يهز حافظ ابراهيم   لكنْ تهزه اليابان
ما لمطران يا فلسطين شأن   بك لكن له بنيرونَ شان

---

(١) الأرجح أنها قيلت سنة ١٩٢٩ .

سيقولون قدست هذه الارض فما ان لنا بها شيطان
بل فلسطين بالشياطين ملأى   ضجتِ الانس منهم والجان
ان بلوتم منهم فريقاً فانا   قد رمانا باثنين هذا الزمان
فإذا المال فات ذاك فهذا   قَرِمٌ لا تفوته الابدانُ

سيقولون : رب اخوان صدق   لك في مصر بينهم اضغان
قطعوا الوحيَ بالتقاطع عنا   ان هذا جزاؤه الحرمان
تلك شكوى تروعني كيف صاروا   فعساها ذكرى لهم كيف كانوا



ما لك والذكريات[1]

ما لك والذكريات تذعرها ... تثير مكنونها وتنشرها
موؤدة في الشجون ادفنها ... وفي زوايا السنين اذخرها
اذهل عنها وربما ذهلت ... عني وقد جئت بي تذكّرها
يا مسعرَ النار كيف اطفئها ... ـ سامحك الله ـ حين تسعرها
اما تراني يدي على كبدي ... أكاد من زفرة أطيّرها

يا ربّ نفس لله مسلمة ... قام نبيّ الهوى ينصّرها
أعيا على الدهر غمز جانبها ... ما بال غمز العيون يقهرها
كلّفتها السير والسرى شغفاً ... ألذّ حال الغرام أخطرها
خلّفتُ بيروت منعماً طلباً ... للكرمليات حيث (عِزْوَرُها)
بلغتها والظلام مشتمل ... على البرايا والنوم يسكرها
ألتمسُ الباب لا أفوز به ... اطوف بالدار لست ابصرها
حتى هداني وميضُ سارية ... اعقبه قاصف يفجّرها
سعيت للباب ثمّ أطرقه ... اقفاله الصلب لو اكسّرها

(١) لعلها مما نظمه سنة ١٩٢٩ ، وقد وجدتها في ورقات منفصلة كتبت الصفحة الأولى منها بعد حصص الدروس لعام ١٩٣٢ ، ولعله لم يكملها .

مـا تنثني نفسُ طـالـب وردت ظمأى ومرعى الجِمام مصدرهـا
وانفتـح البـاب عن مـصلّبـةٍ خـيفـة شرّ هنـاك ينـذرهـا
قلت مسا الخير ، هـل لملتجىء لـديك نعمى هيهات يكفرهـا
قالت على الرحب! قلت هل نزلت آنـسـةٌ داركم تـعمّـرهـا
قالت أخوها؟ فقلت: «ذاك أنا» قـالت : « أنسعى لها نخبّرهـا
قـد أخـذ النـوم جفنهـا مللا بعد انتظار ، ترى أنشعرهـا؟ »
قلت : «دعيها غـداً أفـاجئها احـلامهـا الغـرّ لا انفّـرهـا
اقضي رقـادي في غير مضجعهـا اخشى اذا استيقظت اسهّرهـا »
قالت: «ترى الضوء؟ ذاك مضجعها كن جارها ، والصباحَ تبدرها
اراك بَـرّاً بهـا وربّ أخٍ مغـرىً بـأخت لـه يكـدّرهـا»!
قـرابـة المكـر أصبحت ثقـةً أعشقُ بعضِ القلوب امكَرُهـا
يـا لـك بلهـاء ودّعت ومضت أثني عـلى لـطفهـا وأشكـرهـا

زجـراً ، وهيهات لات مـزدجرٍ أيّـة نفس هـوجـاء ازجـرهـا
صبرَك يا نفس ، لات مصطبرٍ مـا لم تكن جـارتي تصـبّرهـا
لم أدرِ حـين انسللت اطـلبهـا خـطى المحبّين مَن يسـيّرهـا
حـوريـة في السريـر راقـدة ودّ رفـائيـل لـو يصـوّرهـا
يـا معـدن الحسن أنت معـدنها يـا جوهـر الحبّ أنت جوهـرها
عـاطـفـةً جيـدهـا مـوسّـدة ذراعهـا والـدموع تغمـرهـا
والـوجه والصـدر باديـان سوى مـا انثـال من فـرعهـا يخمـرهـا
والشـوق بـين الضلوع اعـرفـه من زفـرة كـالسعـير تـزفـرهـا
يصيبني لـفحهـا عـلى كبـد في بُـرحِ الشـوق ذاب أكـثرهـا
وثـم رمـانـة قـد اضـطربت واقـتربت تـربُهـا تحـذّرهـا

تـقــول : اختــاه تحتنــا لهــب   يصهــرنــا دائبـاً ويصـهــرهــا

ان انس لا انس وجهها وبـه   غبّ انتـظاري بـادٍ تحـيرهـا
ألمـح بـين الجـفـون لـؤلـؤة   فـاز بها النـوم وهـو يـأسرهـا
اطـبـق اهـدابها فـقـيّـدهـا   لـولا اضـطرابٌ يكـاد ينـثرهـا

يـا معدنَ الحسن انت معـدنها   يـا جوهـر الحبّ انت جوهـرها
قيـد ذراعي غصـون بـانتهـا   آوي إلى ظـلّهـا وأهصرهـا


اناشيد

نشيد بطل الريف[1]
عبد الكريم الخطابي

في ثنـايـا العـجـاجْ والتحـام السـيـوفْ
بـيـنـما الجـوُّ داجْ والمـنـايـا تـطـوفْ
يـتـهـادى نـسـيـمْ فـيـه أزكـى سـلامْ
نحـو (عبـد الكـريم) الأمـيـرِ الهـمـامْ
ريفُنـا غـابُنـا نحن فيـه الأسـود ريفُنـا نحميـهْ
كـلُّنـا يعجـب بـفـتـى المـغـرب
كـلُّنـا يـطـربُ لانـتـصـار الأبـي
أيـن جـيـش الـعـدا إن دعـا لـلجـهـادْ
أصـبـحـوا أعـبُـدا بـالـسـيـوف الحـدادْ
ريفُنـا غـابُنـا نحن فيـه الأسـودْ ريفُنـا نحميـهْ
طـالمـا اسـتـعـبـدوا وأذلـوا الـرقـابْ
أيهـا الأيِّـدُ جـاءَ يـوم الحـسـابْ
فـليـذوقـوا الـزعـافْ بـالـظبـى والأسـلْ
ولَـنُـعَـلِّ الهـتـافْ لـلأمـيـر الـبـطـلْ
ريفُنـا غـابُنـا نحن فيـه الأسـودْ ريفُنـا نحميـهْ

---

(١) لحنه محمد فليفل .

وداع(*)

لا تـقـل لله لـبـنـان الأشـمْ
لا تـقـل أشتـاقُ ألحـان الخضمّ
عشْ كـما أهـواك مكفـوفـاً أصمّ
يـا فـؤادي واسـلُ أيـام الهـوى

هـل رأيت الـروض أيـام الخريف
ذابـلَ الأزهـار مسلوب الحـفيـف
متـواري الحسن في الغيم الكثـيف
يـا فـؤادي أيـن أيـام الهـوى ؟

هـل رأيتَ الطير في الـروض يـدورْ
هـائـماً يبحث عن عـهـد السرورْ
مـرغـماً ينسـاق والـريـح تثـورْ
يـا فـؤاي أيـن أيـام الهـوى ؟

(*) نظمه قبيل سفر صديقه الشيخ سعيد تقي الدين مهاجراً الى جزائر الفلبين في كانون الثاني سنة ١٩٢٦ ، وقد غناه أحمد التنير وسجله على اسطوانة .

لا تسلني يا فؤادي عن هناءْ
لك في الروض وفي الطير عزاءْ
إنما العمر نعيم وشقاءْ
يا فؤادي ، وهنا ضلَّ الهوى !

٥ كانون الثاني ١٩٢٦

نشيد البراق
لحن بدوي

لنا البراق والحرَمْ   لنا الحمى، لنا العَلَمْ
ارواحنا، اموالنا   فدى البراق والحرم

نحن الشباب المسلم   والله لا نسلّم
نموت أو نكرم   فدى البراق والحرم

دم العربي إن أبى   يجري على حدّ الظبى
وحقنا أن نغضبا   فدى البراق والحرم

شبابنا أهلَ الوفا   ألعارُ أن نوقّفا
سيروا بحق المصطفى   فدى البراق والحرم

لا تسمعوا كذب الوعود   اعداؤنا خانوا العهود
دوسوا على روس اليهود   فدى البراق والحرم

شبابنا سدّوا الصفوف   قوموا عليهم بالألوف
الله ما احلى الحتوف   فدى البراق والحرم

٢٣ اغسطس ١٩٢٩

وطني أنت لي[1]

وطني أنت لي والخصم راغمُ وطني أنت كل المنى
وطني إنني إن تسلم سالمٌ وبك العزّ لي والهنا

يا شبابنا انهضوا آن أن ننهضا
ولنعلِّ الوطن فلِنعْمَ الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليا مجدكم خالداً ساميا

وطني مجده في الكون أوحد وطني صافح الكوكبا
وطني حسنه في الكون مفردُ جنة سهله والربى

يا شبابنا انهضوا آن أن ننهضا
ولنعلّ الوطن فلنعم الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليا مجدكم خالداً ساميا

---

(١) نظمه على لحن نشيد انجليزي مطلعه :

It was Friday morn' when we set sail.

وطـني حيث لي محبٌّ ينـطقُ بـلسـانـي ومـا أشـعـرُ
وطـني حـيث لي فـؤادٌ يخـفـقُ وبـه رايـتـي تـنـشـرُ

يـا شبـابنـا انهضـوا آن أن نـنهـضـا
ولـنـعـلِّ الـوطـن فـلنـعـم الـوطـن
وانهضـوا وارفـعـوا عـالـيـا مجـدكـم خـالـداً سـامـيـا

٢٧ أيلول ١٩٢٩

فِتْيَة المغرب

فتْيــةَ المغــربِ هيّــا لـلجهــادْ   نحن أَوْلى النّـاسِ بـالأنـدلسِ
نحن أبــطالُ فتـاهــا ابنِ زيـادْ   ولهــا نُــرخصُ غــالي الأنفسِ

قِفْ على الشاطىء وانظر هل ترى   لَهَـبَ النَّــارِ وآثــارَ الـسَّـفــينْ
يَـومَ لا طـارقُ عــاد القهقـرى   لا ، ولا آبـاؤنـا أُسْــدُ العـرينْ

يـومَ لا عزمُ الجبـالِ الراسياتْ   مُشْبــهُ عَـزْمَ شبــابِ المغــربِ
لا ولا همــةُ بحـرِ الـظلمــاتْ   أشبهتْ هِمّــةَ جيشِ الـعــربِ

يـا فتى المغـربِ سَلْهــا مَنْ بنى   دارهــا الحمـراءَ تسمــعْ عَجَبـا
فـأعِــدْهــا لــذويهــا وَطـنــا   تحســدُ الـدّنيـا عليـه العــربـا

نحن أهلوهــا وان هَبَّتْ صَبـا   مِــن رُبــاهــا فـعــلينـا أوَّلا
جَنَّـةُ الفردوسِ هـاتيـكَ الـرُّبى   كـيف تـبقـى لـســوانـا نُــزُلا

٢٠ تشرين الأول ١٩٢٩

نشيد فلسطين

ديننا حبك يا هذا الوطن سرُّنا فيه سواء والعلن
فاروِ يا تاريخ واشهد يا زمن

قد رأينا النار يعلوها الرماد
يا فلسطين فقمنا للجهاد
ونفضنا الذلَّ عنا والرقاد
ونهضنا نهضة تحيي البلاد

ديننا حبك يا هذا الوطن سرُّنا فيه سواء والعلن
فاروِ يا تاريخ واشهد يا زمن

المسيحي أخ للمسلم
يا فلسطين بقلب وفم
فانشري حبهما في العلم
رمزنا عقد الثريا في الدم

ديننا حبك يا هذا الوطن سرنا فيه سواء والعلن
فاروِ يا تاريخ واشهد يا زمن

حرم طهره فادي الورى
وإليه المصطفى ليلاً سرى
وكذا البيعة حيت عمرا
حبنا حبٌّ أبى أن ينكرا

دينا حبك يا هذا الوطن سرنا فيه سواء والعلن
فاروِ يا تاريخ واشهد يا زمن

لا حمى مثل فلسطين حمى
مجدها سطر في لوح السما
أي مجد مثله مهما سما
إنه نور يضيء الأنجما

دينا حبك يا هذا الوطن سرنا فيه سواء والعلن
فاروِ يا تاريخ واشهد يا زمن

يا فلسطين دمي وقفٌ على
أن تفوقي الشمس مجداً وعلا
وعلي العهد ألا أقبلا
بك ملك الأرض طرّاً بدلا

دينا حبك يا هذا الوطن سرنا فيه سواء والعلن
فاروِ يا تاريخ واشهد يا زمن

٢ تشرين الثاني ١٩٢٩

موطني[1]

مـوطني الجـلالُ والجمـالُ السنـاءُ والبهـاءُ في رُبـاكْ
والحيـاةُ والنجاةُ والهنـاءُ والـرجـاءُ في هـواكْ
هل أراكْ

سـالمـا منـعّـمـا وغـانمـاً مـكـرّمـا
هـل أراكْ في عـلاكْ
تبلغ السماكْ
موطني

مـوطني الشباب لن يكـلَّ همُّـه ان تستقـلَّ أو يبيـدْ
نستقي من الردى ولن نكون للعدى كالعبيدْ
لا نريدْ
ذلّـنـا المـؤبـدا وعـيشـنـا المنـكـدا
لا نـريـدْ بـل نـعـيـدْ
مجدَنا التليدْ
موطني

(١) على لحن فالنسيا بتصرف ؛ ولم يذكر تاريخه ، وموضعه في المسودة قبل نشيد عبد الكريم ، وهو تلحين الأخوين محمد وأحمد فليفل .

مـوطني الحسامُ والـيراعُ   لا الكـلامُ والنـزاع   رمـزنـا
مجـدنـا وعهـدنـا   وواجب الى الـوفـا   يهـزُّنـا
عِزُّنـــا

غــايــةٌ   تشرّف ورايـــةٌ   تــرفــرفُ
يـــا   هَـــنـــاكْ في   عــلاكْ
قاهراً عداكْ
موطني

العمل[1]

مجـدُ البــلادْ بــالشبـاب العــاملينْ
والاجتهادْ للعلى نهج مبينْ
هــبّــوا إذن واجنــوا الــثـمــنْ عــز الــوطــنْ
مدى السنين

إن الــعــمــلْ يحــيــي الأمــلْ
سرُّ الــوجــودْ فــيــه نــســودْ
في العالمين

مــا لــلكــســولْ قــيـمــة بــين المــلا
ولا الخــمــولْ سُــلّمٌ الى الــعــلا
إن الهــمــمْ تــبــني الأمــمْ خــير الــشــيــمْ
أن نعملا

إن الــعــمــلْ يحــيــي الأمــلْ
سرُّ الــوجــودْ فــيــه نــســودْ
في العالمينْ

---

(١) لا يعرف تاريخه .

عــزم الــشــبــابْ قــوةٌ لا تُــغــلــبُ
ولا يهــابْ أيّ هــولٍ يــركــبُ
لا يــنــثــني أو يجــتــني لــلــوطــنِ
ما يطلبُ

إن الــعــمــلْ يحــيــي الأمــلْ
سرٌّ الــوجــودْ فــيــه نــســودْ
في العالمينْ

نشيد رثاء غازي(*)

رايــةٌ روعّها خــطب عـراهــا خـفـقـتْ والهــةً فــوق ذراهــا
والصَّبــا مــرَّت بهــا نــائحــةً جـزعاً تنعى الى الـدنيـا فتـاهـا
يا رايتي تجمّلي وبعد غازي أمّلي واعتصمي بفيصلِ
أُمنية المستقبلِ

كعهد غازي أشرفي على الحمى ورفرفي منيعة بفيصلِ
ريحانة المستقبلِ

يـا سليل المـرهفـات البـاتـراتْ وابن رايـات المعالي الخـالـداتْ
نَـمْ رضيَّ البـال وانـعم إنمّــا عهـدنـا عهــدك عـزمٌ وثبــاتْ
نم بـالهنـا فـإننـا وراء تحقيق المنى نبني بهنَّ الـوطنـا
فيعتلي ويعتلي

ولم نَـزَلْ له الفـدا حتى ينال الفـرقدا مكـرَّمـاً مخلّدا
مؤيّداً بفيصلِ

١٩٣٩

(*) لحنه يحيى اللبابيدي رحمه الله وأذيع من محطة القدس .

أشواق الحجاز

بـلادَ الحـجـاز الـيـك هـفـا   فـؤادي وهـامَ بـحـبّ الـنـبـي
ويـا حـبـذا زمـزمٌ والصـفـا   ويـا طيبَ ذاك الـثرى الـطيّبِ

ذكـرى الهـادي ، والأمجـادِ   مـلءُ الـوادي ، والأنـجـادِ
أثـر الهـممِ ، منـذ الـقـدمِ   حـول الحـرم ، أبـداً بـادِ
بـلادَ الـكـرامِ   شـمـوسِ الهـدى
عـلـيـك سـلامـي   مـدىً سرمـدا

*

هـنيئـاً لمن حضر المشهـدا   وطـاف بـكعبـة ذاك الحـرم
ومـن قبّـل الحـجـرَ الأسـودا   وظـلّله الـركـنُ لمّـا اسـتـلم

*

بـروحي ربـوعُ النبي الأمـين   وصـحبُ الـنبـي هـداةُ المـلا
ومشـرقُ نـور الكتـاب المبـين   عـمـادِ الحيـاة وركـنِ الـعـلا
ذكـرى الهـادي والأمجـاد   مـلء الـوادي والأنـجـاد

أثــر الهــمــمِ مــنــذ الــقــدم حــول الحــرم أبــداً بــاد
بــلاَ الــكــرامِ شــمــوسِ الهــدى
عــلــيــك ســلامــي مــدى ســرمــدا

١٩٣٩

لحّنه وغنّاه حليم الرومي واذيع من هنا القدس وهو موجود

الفهـــرس



الأعمال الشعرية الكاملة

ابراهيم طوقان

... وتفيد الدراسة التطورية أن شعر ابراهيم بلغ ثلاث ذرى متعاقبة : ذروة الحب وذروة الشهوة وذروة المشكلة الوطنية . لقد كانت هذه التيارات متجاورة في نفسه ، ولكن الحب كان هو القوة العاتية منذ أن فجرته في صدره فتاة كفر كنة (١٩٢٤ - ١٩٣٢) ، وقد كانت الموضوعات الأخرى تقتبس من لهبه إذا شاءت أن تعيش إلى جواره ... غير أن هذا الحب تحول إلى قوة مدمرة حين اقترن بالموت ، فانحاز ابراهيم إلى إيمانه بقوة الدعابة ، وانطلق في شعر المجون ... ثم يحل عام ١٩٣٥ فيتجه شعر ابراهيم في ذروة جديدة ، هي ذروة القضية السياسية ، وفي ديوانه قطع كثيرة نظمت في ذلك العام ، إذا قرئت معاً كونت قصيدة وطنية سياسية تهكمية لاذعة تتحدث عن مشكلة الزعامة والسياسة والأحزاب في فلسطين ...

احسان عباس



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية برج الكارلتون ، ص.ب ١١-٥٤٦٠
العنوان البرقي : موكيالي ، هـ ٨٠٧٩٠٠/٨٠٢٩٠١
تلكس : LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

الغلاف : زهير أبو شايب